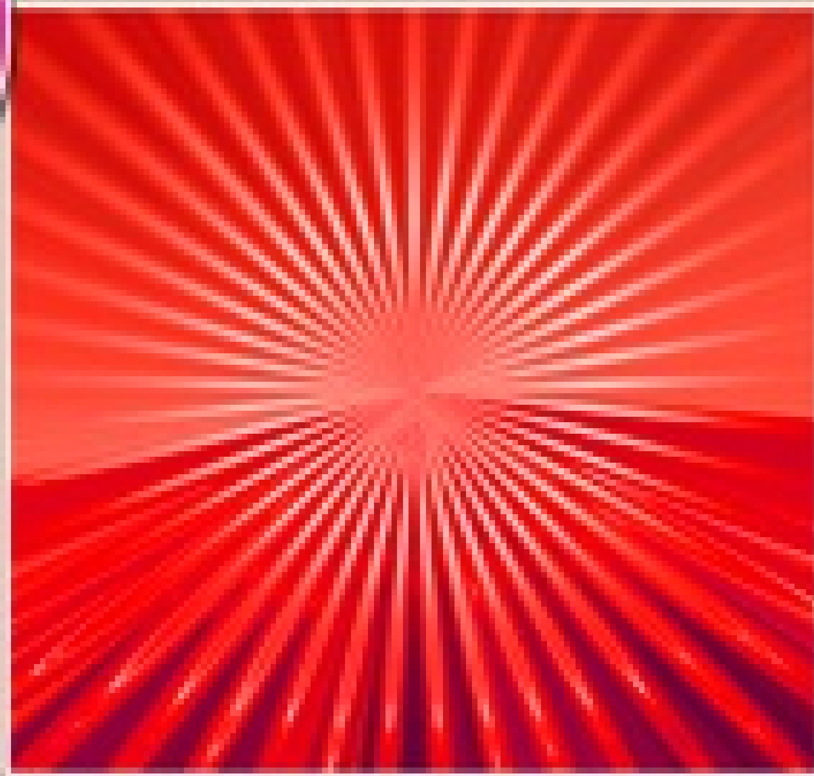
ميقات الحج

مجلة نصف سنوية تعنى بالشؤون الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحج

٢٢



▪ الحج ـ رموز وحِكَم (١) ▪ صلاة الطواف ومكانها ▪
▪ شبهات معاصرة في الحج «٣» ▪ نفي الجدال في الحج «٢» ▪
▪ صفحات من تاريخ المدينة المنورة ▪
▪ حكايات من مكة المكرمة ▪ أسماء بنت عميس ، داعية تحتذى ▪
▪ الرحلة الحجية للعلامة السيد محسن الأمين ▪
▪ مكة المكرمة دراسة في جغرافية المدن ▪

بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

میقات حج-المجلد الثانی و العشرون

اشارهٔ

نام کتاب: دو فصلنامه« میقات الحج»

نویسنده: مرکز تحقیقات حج

من لا یمرّ بمیقات ولا بما یحاذیه

ص: ۱

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

آیة الله الشیخ جعفر السبحانی

اتّفقت کلمة الفقهاء علی أنّ الآفاقی (النائی) یجب علیه الإحرام لعمرته من أحد المواقیت الخمسة التی وقّتها رسول الله (صلی الله علیه وآله) لمن یمرّ بها (۱)، أو ممّا یحاذیها محاذاة عرفیّة، کما إذا کان الحد الفاصل بین المیقات ومهلّه، بضع کیلومترات.

أخرج الکلینی بسند صحیح عن عبدالله بن سنان الثقة عن الإمام الصادق (علیه

۱- الوسائل: ۸/ الباب ۱ من أبواب المواقیت، الحدیث، ۲ و ۳ وغیرها.

ص: ۶

السلام) قال: من أقام بالمدینة شهراً وهو یرید الحجّ، ثمّ بدا له أن یخرج فی غیر طریق أهل المدینة الذی یأخذونه، فلیکن إحرامه من مسیرة ستة أمیال فیکون حذاء الشجرة من البیداء (۱).

ولعلّ الحدّ الفاصل بین المدینة ومسجد الشجرة یوم ذاک، کان ستة أمیال، فلذلک أمر الإمام بالإحرام بعد الابتعاد عن المدینة، مقدار ستة أمیال، لیکون المهلّ محاذیاً للمسجد.

إنّما الکلام إذا ورد عن طریق لا یمرّ بالمیقات، ولا بما یحاذیه محاذاة عرفیة، فیقع الکلام فی مهلّه.

فإن قلنا بعدم تصور طریق لا یمر بالمیقات (۲) ولا ـ یکون محاذیاً لواحد منها بحجة أنّ المواقیت محیطة بالحرم من الجوانب، وقلنا بکفایة مطلق المحاذاة،

۱- الوسائل: ۸ الباب ۷ من أبواب المواقیت، الحدیث ۱.

۲- قال المحقّق النراقی: وقد اختلفوا فی حکم من سلک طریقاً لا ـ یحاذی شیئاً من المواقیت، وهو خلاف لافائدة فیه، إذ المواقیت محیطة بالحرم من الجوانب المستند: ۱۱/ ۲۸۳ وتبعه صاحب العروة الوثقی فی مبحث المواقیت، والتصدیق العلمی یحتاج إلی دراسة میدانیة، وأنّی لنا هذه.

ص: ۷

وإن کانت عن مسافة بعیدة فیحرم ممّا یحاذی أحد المواقیت.

وأمّا لو قلنا بإمکان طریق لا یمرّ بمیقات ولا بما یحاذیه محاذاةً عرفیة، عن مسافة قریبة، کما هو الحال فی مدینة «جدة» فإنّها لیست بمیقات، کما هو واضح، ولا تحاذی أحد المواقیت کالجحفة، محاذاة عرفیة (۱)، فیقع الکلام فیما هو الواجب علی الوافدین إلی جدة جویّاً أو بحریّاً.

والمسألة معنونة فی کلمات الفریقین، وهی ذات قوانین منذ عهد بعید، وإلیک البیان:

الآراء فی المسألة

قال الغزالی فی «الوجیز»: «ولو حاذی میقاتاً، فمیقاته عند المحاذاة، إذ المقصود مقدار البعد عن مکة، وإن جاء

۱- وأمّا المحاذاة عن مسافة بعیدة، والتی نسمیها محاذاة غیر عرفیة، فالظاهر من الخرائط الجغرافیة أنّ المطار الحدیث للحجاج و ضفاف البحر، ومقدم الجسر الکبیر تحاذی الجحفة، فإنّ الخط الممتد من الجحفة إلی جدّة یمرّ علی هذه الأمکنة أو علی مقربة منها.

ص: ٨

من ناحية لم يحاذ ميقاتاً ولا مرّ به، أحرم من مرحلتين فإنّه أقلّ المواقيت وهو «ذات عرق»».

وقال الرافعى فى شرحه: «لو جاء من ناحية لا يحاذى فى طريقها ميقاتاً ولا يمرّ به، فعليه أن يحرم إذا لم يبق بينه وبين مكة إلّا مرحلتان، إذ ليس شىء من المواقيت أقلّ مسافة من هذا القدر».

ثمّ علّق على قول الغزالى فى المتن: «فإنّه أقلّ المواقيت وهو ذات عرق» إنّما كان يحسب أن لو كانت ذات عرق أقلّ مسافة من كلّ ما سواها من المواقيت، لكن قد مرّ أنّ ذات عرق مع يلملم وقرن، متساوية فى المسافة (١).

وقال محى الدين النووى: وأمّا إذا أتى من ناحية ولم يمرّ بميقات ولا ما حاذاه، فقال أصحابنا: لزمه أن يُحرم على مرحلتين من مكة، اعتباراً بفعل عمر فى توقيته ذات عرق (٢).

والظاهر أنّ فقهاء السنّة على قول

١- العزيز فى شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير للرافعى ٢٢٥: ٣- ٣٣٦

٢- المجموع ٢٠٣: ٧، وهو شرح للمهذب للشيرازى.

ص: ۹

واحد، وهو الإحرام على مرحلتين من مكة، تمسّكاً بما فعله عمر حيث جعل ذات عرق ميقاتاً، لأنّه على مرحلتين من مكة، مثل قرن المنازل ويلملم.

ولكن الثابت عندنا أنّ رسول الله نصّ على كون «ذات عرق» ميقاتاً (۱).

وما ذكره الغزالى من الوجه من أنّ المقصود الابتعاد بمقدار المرحلتين أو أزيد، فيكفى الإحرام من هذا المقدار من البعد، استحسان لا دليل عليه، ولا ينفى لزوم العود إلى الميقات، ولا لزوم الإحرام من مقدار أبعد المواقيت إذا لم يجاوزه ولم يكن محاذياً.

أضف إلى ذلك: أنّ ما دلّ على الابتعاد بهذا المقدار من المسافة، إنّما دلّ إذا أحرم من الميقات، لا مطلقاً وإن لم يمرّ على ميقات.

وأمّا فقهاؤنا فلهم قولان:

۱. الإحرام من مرحلتين من مكة

إذا سلك طريقاً لا يمرّ فيه على هذه المواقيت ولا يكون محاذياً فقد اختار ابن

۱- الوسائل: ۸ الباب ۱ من أبواب الميقات، الحديث ۲.

ص: ۱۰

الجنید ما حکیناه عن فقهاء السنة فی أنّه یحرم من مکة بقدر أقرب المواقیت إلیها فیحرم منه (۱).

وذکر الشهید الثانی فی وجهه: أنّ هذه المسافة لا یجوز لأحد قطعها إلّا محرماً من أیّ جهة دخل، وإنّما الاختلاف یقع فی ما زاد علیها، فهی قدر متفق علیه (۲) وفی «المدارک» قریب ممّا ذکره والده فی المسالک (۳).

یلاحظ علیه:

أولًا: إنّ ما ذکره لیس مبرّراً للإحرام من هذه المسافة، إذ لماذا لا یعود إلی المیقات؟! وقد عرفت أنّ ما ذکره من أنه لا یجوز قطع هذه المسافة، بلا إحرام إنّما هو فیما إذا أحرم من المیقات لا مطلقاً، فلا دلیل علی لزوم الإحرام فی قطع المرحلتین إذا أحرم من غیر المواقیت المنصوصة کما سیأتی.

وثانیاً: الإحرام من أدنی الحل

۱- المختلف ۴۳: ۴.

۲- المسالک ۲۱۶: ۲.

۳- المدارک ۲۲۳: ۷- ۲۲۴.

ص: ۱۱

وهنـاك وجه آخر، وهو الإحرام من أدنی الحل، من غير فرق بين الجعرانـة، أو الحديبيـة، أو التنعيم، وإن كان الثالث أقرب إلی مكـة، فقد ذكره العلّامة فی عدّة من كتبه، والشهيد الثانی فی «المسالک»، واستحسنه فی «المدارك». وإليك بعض الكلمات:

۱. قال العلّامـة فی «القواعد»: «ولو لم يؤدّ إلی المحاذاة فالأقرب إنشاء الإحرام من أدنی الحلّ، ويحتمل مساواة أقرب المواقيت». (۱) ۲. وقال فخر المحقّقين معلّقاً علی قول والـده فی القواعـد: «وجه القرب أنّه ميقات للمضـطرين، كالناسـی، وهـذا الّـذی حجّ علی طريق لا يؤدی إلی ميقات ولا إلی محاذاته منهم، لتعذر الميقات، وهو الأقوی عندی.

ووجه الثانی: أنّ الاعتبار بالمحاذاة إنّما هو المساواة» (۲).

۳. وقال فی «التذكرة»: «ولو مرّ علی

۱- القواعد ۴۱۷: ۱.

۲- الإيضاح ۲۸۴: ۱.

ص: ۱۲

طریق لم یحـاذ میقاتـاً ولاـ جـاز به، قـال بعض الجمهور: یحرم من مرحلتین، فـإنّه أقـلّ المواقیت وهو ذات عرق، ویحتمل أن یحرم من أدنی الحلّ» (۱).

۴. وقال فی «التحریر»: «ولو مرّ علی طریق لا یحاذی میقاتاً، فالأقرب الإحرام من أدنی الحلّ» (۲).

۵. وقـال الشـهید الثـانی فی «المسالک»: «موضع الخلاف ما لو لم یحاذ میقاتاً فإنّه یحرم عنـد محاذاته- إلی أن قال:- والوجه الآخر أن یحرم من أدنی الحلّ، عملًا بأصالة البراءة من الزائد» (۳).

۶. وقال فی «المـدارک»: «واسـتقرب العلّامـة فی القواعد، وولده فی الشـرح: وجوب الإحرام من أدنی الحل، وهو حسن، لأصالة البراءة من وجوب الزائد.

وقولهم: إنّ هذه المسافة لا یجوز قطعها إلّا محرماً فی موضع المنع، لأنّ ذلک إنّما ثبت مع المرور علی المیقات لا مطلقاً، بل لولا ورود الروایة بوجوب الإحرام من

۱- التذکرة ۲۰۴: ۷.

۲- التحریر: ۱/ ۵۶۵.

۳- المسالک ۲۱۶: ۲- ۲۱۷.

ص: ۱۳

محاذاة المیقات (یشیر إلی صحیحة عبدالله بن سنان الواردة فی القریب لا البعید) لأمکن المناقشة فیه بمثل ما ذکرناه» (۱).

۷. وقال فی «الریاض»: «ولو لم یحاذ شیئاً منها، قیل: یحرم من مساواة أقربها إلی مکة، وهو مرحلتان تقریباً، لأنّ هذه المسافة لا یجوز لأحد قطعها إلّا محرماً، وقیل: من أدنی الحل، لأصالة البراءة من وجوب الزائد» (۲).

۸. قال النراقی: «ولو فرض إمکان (سلوک طریق لا یحاذی شیئاً من المواقیت)، فالمختار الإحرام من أدنی الحلّ، لأصالة البراءة عن الزائد» (۳).

۹. وقال فی «الجواهر»: «لو سلک طریقاً لم یکن فیه محاذاة میقات من المواقیت، وإن کان قد عرفت فیه الاحتمالین بل القولین: الإحرام من مقدار أقرب المواقیت أو من أدنی الحلّ (۴).

۱۰- وقد کانت المسألة ذات قولین إلی

۱- المدارک ۲۲۴: ۷.

۲- ریاض المسائل ۱۹۵: ۶.

۳- مستند الشیعة ۱۸۹: ۱۱.

۴- الجواهر ۱۱۸: ۱۸.

ص: ١۴

أن أفتی السید الحکیم بتعین الإحرام من أدنی الحلّ، وعلی ذلک طبّق عمله عند تشرّفه بالحجّ.

وقد نبّه إلی ذلک نجله الشهید السید محمدباقر الحکیم فی شرح والده- عند ذکر بعض فتاواه الحدیثة- وقال: ومنها:

الفتوی بکفایة الإحرام من حدود الحرم وأدنی الحل للحجاج الذین یأتون من الآفاق، ممّن لا یمرّون فی طریقهم بأحد المواقیت الخمسة المعروفة، أو ما یحاذیها محاذاة عرفیة، کالحجاج الذین یأتون إلی جدة بالطائرات، وکذلک صحّة الإحرام من هذا الموقع للمعتمر بالعمرة المفردة.

حیث کان یستفید من روایات المواقیت أنّها مختصّة بمن یمرّ علیها أو یحاذیها محاذاة عرفیة، وهی المحاذاة الّتی یمرّ فیها الحاج قریباً من المیقات فی حالة استقباله لمکة، وبدون ذلک لا تکون هذه محاذاةً ولا مروراً بالمیقات، وبالتالی فیمکنهم أن یحرموا من أدنی الحلّ.

ص: ۱۵

ومع قطع النظر عن صحّة هـذا الاستنباط وعـدمه فإنّ ذلك موكول للأبحاث الفقهيـة، ولكن المهم هو الشجاعة والجرأة الأدبية لهذه الفتوى، والّتى عالج بها مشكلة حقيقية يعانى منها الحجاج استناداً لفهمه من النصوص (۱).

تعيّن القول الثانى:

إنّ الّذى يحثّ الفقيه على الخوض فى هـذه المسألـة أنّها ممّا يُبتلى به من قبل الكثير من الحجاج، حيث إنّ الـذين يقصدون الحجّ من بلدان بعيدة على أقسام:

۱. قسم منهم ينزلون مطار المدينة المنورة ويحرمون من ذى الحليفة، وهذا من أفضل وجوه الحجّ.

۲. قسم آخر ينزلون مطار جدّة

۱- دليل الناسك ۶۷- ۶۸.

ص: ۱۶

ویذهبون إلی المدینهٔ شوقاً إلی زیارهٔ النبی (صلی الله علیه وآله)، ویحرمون من ذی الحلیفهٔ أیضاً.

۳. قسم منهم ینزلون مطار الجحفهٔ ویحرمون منها.

إنّما الکلام فی القسم الأخیر.

۴. من ینزل مطار جدّهٔ، ولا یتمکّن من الذهاب إلی المدینهٔ، ویشق علیه الذهاب إلی الجحفهٔ إمّا لضیق الوقت أو لا یریده طلباً للراحهٔ.

فالقسم الرابع هو أکثر ما یبتلی الحجاج به، فأمام هؤلاء الطرق التالیهٔ:

۱. إلزامهم بالذهاب إلی أحد المواقیت، کالجحفهٔ أو قرن المنازل أو غیرهما.

۲. الإحرام من مرحلتین من مکهٔ.

۳. الإحرام من أدنی الحلّ.

أمّا الأوّل: فلا دلیل علی الإلزام، فإنّ ما ورد من الروایات من أنّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) قد وقّت لأهل المدینهٔ ذا الحلیفهٔ، ووقّت لأهل الشام الجحفهٔ، ووقّت لأهل نجد العقیق، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل الیمن

ص: ۱۷

یلملم (۱)، کلّ ذلک راجع إلی من کان أهل هذه المواقیت أو کان ممّن یجتازها، وأمّا من سلک طریقاً لا یؤدی إلی أحد هذه المواقیت فلا یوجد أیّ دلیل علی إلزامه بالعود إلی المواقیت.

وأمّا الثانی: وهو الإحرام من مرحلتین من مکهٔ بحجهٔ أنّه لا یجوز لأحد أن یجتازها بلا إحرام، فقد مرّ فیه الإشکال بأنّه راجع لمن حضر أحد هذه المواقیت فلا یجوز له قطع المرحلتین علی الأقلّ بلا إحرام، وأمّا من لیس من أهلها ولا مجتازاً فلا دلیل علی أنّها بالنسبهٔ إلیه میقات.

فتعیّن هنا الطریق الثالث: ویشهد له- مضافاً إلی کونه المحتمل الذی لیس وراؤه احتمال آخر- الأُمور التالیهٔ:

۱. إنّ أدنی الحلّ میقات العمرهٔ المفردهٔ، للقارن والمفرد ولکلّ من یقوم بعمرهٔ مفردهٔ.

۲. إنّها میقات من نسی الإحرام أو جهل بحکمه، فإنّه یحرم من أدنی الحلّ، فإن تعذر فمن مکانه، ففی

۱- الوسائل: ۸، الباب ۱ من أبواب المواقیت، الحدیث ۳ وغیره.

ص: ۱۸

صحيحة عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن رجل مرّ على الوقت الّذى يحرم الناس منه فنسى أو جهل فلم يحرم حتّى أتى مكة، فخاف إن رجع إلى الوقت أن يفوته الحجّ؟ فقال: «يخرج من الحرم ويحرم ويجزيه ذلك» (۱).

۳. إنّها ميقات المقيم بمكة ما لم تمض عليه سنتان، فإنّه يخرج إلى أحد المواقيت إذا لزمه التمتع، ومع التعذّر إلى أدنى الحلّ.

وهذه الوجوه وما يقاربها تشرف الفقيه على القول بكفاية الإحرام من أدنى الحلّ بلا حاجة إلى العود إلى المواقيت.

ويجب أن نذكر أنّ هناك مشكلة أُخرى تتعلّق بمسألة وجوب ترك التظليل ليلًا كالنهار عند جماعة من الفقهاء، خصوصاً إذا كانت الليلة مطيرة، أو ذات رياح شديدة، فقد ذكروا ترك التظليل من تروك الإحرام، هذا من جانب، ومن جانب آخر إنّ السيارات المكشوفة غير متوفرة،

۱- الوسائل: ۸، الباب ۱۴ من أبواب المواقيت، الحديث ۲.

ص: ۱۹

والمتوفرة لاستهلاكها، خطرة على حياة الحجاج، حينما يستقلونها من المدينة إلى مكة، فإنّ ركوبها وإن كان يسهّل الأمر من جهة ترك التظليل، لكن ركوبها، لا يخلو من نظر كما شاهدناه بأم أعيننا.

وهذا بخلاف مالو جاز لهم الإحرام من أدنى الحلّ، حيث إنّ المسافة بين الحديبية أو التنعيم ومكة قريبة جدّاً، فيمكن اتّخاذ سيارات مكشوفة تسير هذه المسافة القصيرة.

والأفضل حسب الظروف الحاليّة الإحرام من الحديبية لمن يصلها عبرأحد الطريقين القديم أو الجديد، حيث تتوفر فيها الحمامات بوفرة لجميع الحجاج نساءً ورجالًا، وهذا ما شاهدته بأُمّ عينى فى سفرى الأخير لأداء العمرة المفردة عام ۱۴۲۴ ه-. ق.

دراسة فتوى السيد الخوئى (قدس سره)

ثمّ إنّ السيد الخوئى- رضوان الله عليه- أفتى فى الموضوع بالأمور التالية:

۱. لزوم الذهاب إلى أحد المواقيت مع الإمكان.

ص: ۲۰

۲. أو نذر الإحرام من بلده أو من الطريق قبل الوصول إلى جدّة بمقدار معتد به، ولو فى الظاهر فيُحرم من محل نذره.

۳. الذهاب إلى- رابغ- الذى هو فى طريق المدينة والإحرام منه بنذر، باعتبار أنّه قبل الجحفة التى هى أحد المواقيت.

۴. إذا لم يمكن المضى إلى أحد المواقيت ولم يحرم قبل ذلك بنذر، لزمه الإحرام من جدة بالنذر، ثمّ يجدد إحرامه خارج الحرم قبل دخوله فيه (۱).

ويلاحظ على ما أفاده بأُمور:

أوّلًا: إنّ إلزام الذهاب إلى أحد المواقيت مع الإمكان بلا ملزم، لما مرّ من أنّ الروايات الدالة على لزوم الإحرام من المواقيت التى وقّتها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ناظرة إلى من كان من أهل هذه المواقيت أو كان ممن يجتازها، وأمّا من سلك طريقاً لا يؤدّى إلى أحدها فلا دليل على لزوم الذهاب إلى المواقيت.

۱- المعتمد ۳۲۴: ۳، ولاحظ المناسك.

ص: ٢١

ثانيـاً: إنّ نـذر الإحـرام من بلـده أو من الطريق قبـل الوصول بمقـدار معتـد به أو فى الطـائرة، وإن كان يحلُّ مشـكلة إحرام، لكن يبقى الإشكال فى الاستظلال بعده بسقف الطائرة ونحوها إذا كان الطيران فى النهار أو فى الليالى الممطرة أو ذات الرياح العاصفة.

وجه الإشـكال، إنّ حقيقـة الإحرام عبارة عن العزم على ترك المحرمات فكيف يجتمع ذلك العزم الجدى، مع العلم بنقضه فى الطريق أو قبل ركوب الطائرة، ونحو ذلك، وهذه مشكلة يجب التخلص منها على نحو لا يصادم حقيقة الإحرام الذى هو أمر قلبى قائم بالجزم والنية.

أضف إلى ذلك أنّ هذا الاقتراح، لا ينفك عن وجوب الفدية عليه، وهو تكليف زائد وتحميل عليه وهو رهن الدليل.

ثالثاً: إنّه إذا تمكن من الـذهاب إلى رابغ يتمكن غالباً من الـذهاب إلى الجحفة، فإنّها بمقربة من رابغ، والطريق، معبّد، ذلول، والمسافة قليلة جداً.

رابعاً: إذا لم يمكن المضىّ إلى أحد

ص: ۲۲

المواقيت ولم يحرم قبل ذلك بنذر، فقد أفتى بلزوم الإحرام من جدة بالنذر، ثمّ يجدد إحرامه خارج الحرم قبل دخوله فيه.

ولم يعلم وجهه، لأنّ المورد خارج عن مصب روايات النـذر، لأنّ مورد رواياته (۱) هو نـذر الإحرام قبل الميقات، ثمّ اجتيازه والمرور به، وأين هو من المفروض، وهو نـذر الإحرام قبل الـدخول في الحرم ثمّ الـدخول فيه مُحْرِماً، وقد ثبت في محله أنّه لا يمكن تحليل الحرام- تكليفاً أو وضعاً- بالنذر واليمين والعهد، والإحرام قبل الميقات، أو بعده حرام تكليفاً وباطل وضعاً، خرجت منه صورة واحدة، وهو نذره قبل الميقات، ثمّ المرور به محرماً، والصور الأُخرى باقية تحت المنع.

۱- الوسائل: ۸، الباب ۱۲ من أبواب المواقيت، الحديث ۱- ۳.

ص: ۲۳

الحج رموز، وحكم

آية الله عبدالله جوادى آملى – ترجمة: حيدر حبّ الله

لابدّ لكلّ إنسان من دين إلهى، ولا دين كذلك سوى الإسلام إنّ الدين عند الله الإسلام (۱)

، كما لا يُقبل دين عداه، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه (۲)

، فالإسلام هو الدين الوحيد الجامع النازل من جانب الحقّ تعالى، والمشتمل على تمام الكمالات الإنسانيّة، والمهيمن على الأديان الباطلة كافّة، وهو الديانة الفريدة القابلة للإجراء والتطبيق لتكون مورداً لاستفادة الإنسان.

وبناءً عليه، لابد لهذا الدين أن يحوى

۱– آل عمران: ۱۹.

۲– آل عمران: ۸۵.

ص: ۲۴

برامج وآليات يمكن توظيفها والاستفادة منها عبر التاريخ، وتظهر وتنجلى فى مناخ تعالى الإنسانيّة انجلاءً كاملًا وتاماً.

الشمولية والدوام من أكبر أوصاف الإسلام وأهمّها، أي إنّه يستوعب فى داخله أفراد الإنسان كافّة من السود والبيض والحمر وسائر الأعراق و ... كما يستوعب امتداد الزمان، فى ماضيه ومستقبله، إلى يوم القيامة.

وللإسلام، بوصفه أمراً إلهيّاً غالباً على الزمان والحركة والمادّة مصوناً من الزوال والاندثار، علّةٌ تامّة مثله فى ذلك مثل سائر الممكنات، وهذه العلّة التامّة مكوّنةٌ من علّتين إحداهما العلّة الفاعلة والأخرى العلّة القابلة، فالعلّة القابلة للإسلام هى الإنسان نفسه، والإنسان إنسان لا يتغيّر ولا يتبدّل بما جبل عليه من الفطرة الخاصّة والطينة المخصوصة فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق‌الله (۱)

. وأمّا العلّة الفاعلة له فهى الله الذى لا

۱- الروم: ۳۰.

ص: ۲۵

تناله يـد التغييرات ولا تحظى بكرامته شـباك التحوّلات، فإنّ ذاته منبع الحياة والنور والعلم والقدرة، ولا سبيل فيها أبداً للموت والظلمة والجهل والاعتزال، فهى الـذات العليمـة- إذن- بمصالـح الإنسان ومفاسـده، والأقدر على تعليمه وهدايته إلى المدارج الرفيعة وتحذيره من السقوط فى المهاوى السحيقة، وتبيين درجاتها والإعلام بدركاتها.

على هذا الأساس، فإنّ سرّ عالميّة الإسلام يكمن فى:

أوّلًا: إنّ نزوله كان لتفتيح براعم الفطرة الإنسانيّة، تلك الفطرة التى لا ترتهن لأرض خاصّة ولا لتاريخ معيّن، كما لا مسير زمنىّ لها، بل لا ـ تنالهـا التـأثيرات العرقيّـة والقوميّـة ولا الظواهر الجغرافيّـة، ومن هنا تمثل البنيـة التحتيّـة الراسـخة للتربيـة، والأساس المحكم للإرشاد والتعليم.

ثانياً: إنّ معلّم الإنسان ومربّى البشـريّة هو الإله الذى لا رخصة للجهل فى الولوج إلى حريم علمه المطلق اللامتناهى، ولا فسـحة للسـهو والنسيان إلى حرم أمن

ص: ۲۶

حضوره وشهوده الدائم. من هنا كان الدين المرضىّ عنده هو الأساس الثابت والبناء الدائم الذى لا يعرف الزوال فى هداية المجتمعات الإنسانيّة جمعاء.

ص: ۲۷

الحجّ النيابى

محسن الأسدى

حظيت فريضة الحج بمكانة كبيرة فى الشريعة الإسلامية المباركة، فى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله وأحاديث و أقوال أئمة أهل بيت العصمة والطهارة، وكذلك فى آراء أئمة المذاهب الإسلامية وأقوال فقهائها وعلمائها، كما نالت اهتمام المسلمين قاطبة، فراحوا يؤُمّون ديار الله المقدسة فى مكة، لأداء مناسك هذه الفريضة المقدسة، تلبيةً للأذان الأول الذى رفعه نبيّ الله إبراهيم الخليل (ع) بأمر من السماء: وأذن فى الناس بالحج

ص: ٢٨

يأتوك رجالًا وعلى كلّ ضامر يأتين فى كلّ فجّ عميق ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله فى أيّام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (١).

ليحققوا هـذه الأهـداف الكبيرة فى موسم معين وفى مكان أو أماكن محـدّدة، وليؤدّوا فريضـةً عظيمـةً أرادتها السـماء وفرضـتها عليهم وألزمتهم بعدم التخلف عنها، لله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلًا (٢).

فالحـجّ ركن من أركان الـدين، وفرع فى الفروع الواجبـة وضـرورة وعبادة اتفقت على وجوبها ووجوب أدائها الفرق الإسـلامية كافّـة، وجعلت من ينكرها أو يتعمد التخلف عن أدائها، مع توفر الشروط فيه، داخلًا تحت ومن كفر فإنّ الله غنىّ عن العالمين (٣).

١- الحج: ٢٧- ٢٩.

٢- آل عمران: ٩٧ وأتموا الحجّ والعمرة لله.

٣- آل عمران: ٩٧.

ص: ۲۹

ونظراً للمنزلـة العظیمة لهذه الفریضة ولمناسـکها، ولرغبة السـماء فی أن لا یخلو هذا البیت المبارک والبقاع المبارکة من أدائها، فتحت لذوی الأعذار- وحتی للأموات- من المؤمنین باباً آخر لأداء هذه الفریضة، فالشـریعة راحت تلاحق أصـحاب الأعذار والذین یعجزون عن أداء مناسک هذه الفریضة بسـبب الأمراض وغیرها مع توفر الاسـتطاعة المالیة لهم، بل ولاحقت حتی الذین یتوفون منهم ولم یکن بمقـدورهم أداؤها أو أنّهم تخلّفوا عنها أو عن بعض مناسـکها بعـذر أو بغیر عذر، فتحت لکلّ هؤلاء- رجالًا ونساء وخناثی- باباً سـمّته بـاب النیابـة، وأمرتهم بـأن ینیبوا من یؤدّی عنهم هـذه الفریضـة، وجعلت ثوابـاً عظیمـاً للنـائب تشـجیعاً له، وأنّهـا إذا ما أُدّیت صـحیحةً بشـروطها وأحکامها من قبل النائب، تکون مجزیـة عن الأصـیل (المنوب عنه)، ولا تفرغ ذمته إلّا بأدائها مادامت الاستطاعة قد تحققت عنده.

وللنیابة أحکامها وشروطها و

ص: ۳۰

مشروعیتها، هذا ما تناولته الأحادیث الشریفة لرسول الله ولأئمة أهل البیت ونقلته ألسنة الصحابة والتابعین، واکتظّت بها کتبُ الفریقین (الإمامیة وأهل السنة) وأعلنت علی أساسها آراؤهم الفقهیة وأقوالهم فی مشروعیتها وما یترتب علیها من أحکام وآداب ... وهانحن فی مقالتنا هـذه نتعّرض إلی فضـلها وثوابها، وأدلة مشروعیتها، وشـیء من أحکامها عند المذاهب الإسلامیة، آملین أن یکون هذا البحث مختصراً نافعاً قدر الإمکان، مستفیداً فیه مما تیسّر لی من مصادر الحدیث والفقه.

وقبل أن نبـدأ الکلام عن النیابـة، مشروعیّتها، شروطها، أحکامها، نـذکر فضل الحـج نیابةً، و ماجاء فیه من أحادیث مبارکة تدعو إلیه وتحضّ علیه وتبین ثوابه، وما أعدّه الله تعالی للعاملین فی هذا الخصوص.

– فعن رسول الله: إنّ الله عزّوجلّ یدخل بالحجة الواحدة ثلاثة نفر الجنة: المیت، والحاجّ عنه، والمنفذ ذلک.

ص: ۳۱

- وعنه: حجّة للميت ثلاثة: حجّة للمحجوج عنه، وحجّة للحاج، و حجّة للموصى.

- وعنه: من حجّ عن ميت كتبت عن الميت و كتب للحاجّ براءةٌ من النار.

- وعن ابن مسكان عن أبی عبدالله (ع): قلت له: الرجل يحجّ عن آخر، ماله من الأجر والثواب؟

قال: للذی يحجّ عن رجل أجر وثواب عشر حجج.

- وعن الفضل بن شاذان الهروی: ذُكر لی كثرة ما يحجّ المحمودی- وهو من أصحاب

ص: ۳۲

الأئمة- فسألته عن مبلغ حجّاته، فلم يخبرنى بمبلغها، وقال: رزقت خيراً كثيراً والحمد لله.

قلت له: فتحجّ عن نفسک أو عن غيرک؟

فقال: عن غيرى، بعد حجّة الإسلام أحجّ عن رسول الله، وأجعل ما أجازنى الله عليه لأولياء الله، وأهب ما أثاب على ذلک للمؤمنين و المؤمنات.

قلت: فما تقول فى حجّک؟

فقال: أقول: اللهم إنى أهللت لرسولک محمّد وجعلت جزائى منک ومنه لأوليائک الطاهرين، ووهبت ثوابى لعبادک المؤمنين والمؤمنات بکتابک وسنة نبيک.

- وعن عبدالرحمن بن سنان: کنت عند أبى عبدالله (ع) إذ دخل عليه رجل، فأعطاه ثلاثين ديناراً يحجّ بها عن إسماعيل، ولم يترک شيئاً من العمرة إلى الحج إلّا اشترطه عليه، حتى اشترط عليه أن يسعى عن وادى محسّر، ثمّ قال: يا هذا، إذا أنت فعلت هذا کان لإسماعيل حجّة بما أنفق من ماله، وکان لک تسع بما أتعبت من بدنک.

- الشيخ الصدوق: سئل الصادق (ع) عن

ص: ۳۳

الرجل يحجّ عن آخر، أله من الأجر والثواب شیء؟

فقال: للذی يحجّ عن الرجل أجر وثواب عشر حجج، و يغفرله ولأبيه ولأمّه ولابنه ولابنته ولأخيه ولأخته ولعمّه ولعمّته ولخاله ولخالته، إنّ الله واسع كريم.

بعد هذا، ننتقل إلى معرفة آراء فقهاء المسلمين من الفريقين، وما توفر لدى الفريقين من أحاديث استندت عليها أقوالهم:

الإمامية

ذهب فقهاء الإمامية إلى أنّه لا إشكال فی صحّة النيابة:

أ- عن الميت فی الحج الواجب و المندوب، بضرورة من المذهب إن لم تكن من الدّين، ولنصوص مستفيضة نأتی على ذكر بعضها.

ب- عن الحیّ فی الحجّ المندوب مطلقاً، وفی الواجب فی بعض الصور، وتتخذ النيابة مشروعيتها من الإجماع، والنصوص الحديثية المستفيضة التی نذكر بعضها:

روی عن عاصم بن حميد، عن محمّد بن مسلم أنّه قال: «سألت أبا جعفر (ع) عن رجل

ص: ۳۴

مات ولم يحج حجّة الإسلام، ولم يوص بها، أيقضى عنه؟

قال: نعم».

وروى عن معاوية بن عمار أنّه قال: «سألت أبا عبدالله (ع) عن امرأة أوصت بمال فى الصدقة والحجّ والعتق.

فقال: إبدأ بالحجّ فإنّه مفروض، فإن بقى شيء، فاجعل فى الصدقة طائفة، وفى العتق طائفة».

وروى عن هارون بن حمزة الغنوىّ عن أبى عبدالله (ع): «فى رجل مات ولم يحجّ حجّة الإسلام، ولم يترك إلّا قدر نفقة الحج وله ورثة.

قال: هم أحقّ بميراثه إن شاؤوا أكلوا، وإن شاؤوا حجّوا عنه».

وروى عن حارث بياع الأنماط أنّه: سئل أبو عبدالله (ع): «عن رجل أوصى بحجّة، فقال: إن كان صرورة، فهى من صلب ماله إنما هى دَين عليه، و إن كان قد حجّ، فهى من الثلث».

وعن رجل يموت فى طريق الحج، روى علىّ بن رئاب عن ضريس عن أبى جعفر (ع): «فى رجل خرج حاجّاً حجّة الإسلام فمات فى

ص: ۳۵

الطريق.

فقال: إن مات فی الحرم، أجزأت عنه حجّة الإسلام، وإن كان مات دون الحرم، فليقض عنه وليّه حجّة الإسلام».

وفی روايـة أخرى عن عليّ بن رئـاب عن بريـد العجليّ بهـذا المورد، قـال: «سـألت أبـا جعفر (ع) عن رجل خرج حاجّاً، ومعه جمل له ونفقة وزاد، فمات فی الطريق.

قال: إن كان صـرورة ثمّ مات فی الحرم، فقـد أجزأت عنه حجة الإسـلام، وإن كان مات وهو صـرورة قبل أن يحرم، جعل جمله وزاده ونفقته وما معه فی حجّة الإسلام، فإن فضل من ذلک شیء فهو للورثة إن لم يكن عليه دَين.

قلت: أرأيت إن كانت الحجّة تطوّعاً، ثمّ مات فی الطريق قبل أن يحرم، لمن يكون حجّه ونفقته وما معه؟

قـال: يكون جميع مـا معه وماترک للورثـة، إلّا أن يكون عليه دَين فيقضـی عنه، أو يكون أوصـی بوصـية فينفـذ ذلک لمن أوصـی له، ويجعل ذلک من ثلثه».

وسئل أبوعبدالله (ع) «عن رجل مات وله

ص: ۳۶

ابن فلم يدر حجّ أبوه أم لا؟

قال: يحجّ عنه، فإن كان أبوه قد حجّ، كتب لأبيه نافلة وللابن فريضة، وإن لم يكن حجّ أبوه، كتب لأبيه فريضة وللابن نافلة» (۱).

وفي صحيح ابن عيسى قال: «بعث إليّ أبوالحسن الرضا (ع) رزم ثياب، وغلماناً، وحجّة لي، وحجّة لأخي موسى بن عبيد، وحجّة ليونس بن عبدالرحمن، وأمرنا أن نحجّ عنه، فكانت بيننا مائة دينار أثلاثاً فيما بيننا».

إلى غيرها من الروايات التي ستأتينا طيّ البحث.

هذا وتصحّ النيابة هذه بأمور:

۱- التبرع.

۲- الإجارة.

۳- الجُعالة.

لظهور الإطلاق- كما يقول السيد السبزواري+- والاتفاق، وأنّ المدار على إتيان العمل بأيّ وجه حصل، وأنّ ذمة

۱- انظر من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ۲۸۰: ۲- ۲۸۴، وسائل الشيعة، باب ۳۴ من أبواب نيابة الحج.

ص: ۳۷

الأصيل (المنوب عنه) لا تفرغ إلا بإتيان النائب للعمل صحيحاً، وهو ما تقتضيه قاعدة أنّ الاشتغال اليقينى يقتضى الفراغ اليقينى، فإذا كان على الميت حجّ واجب، واستؤجر شخص لأدائه، فلا تبرأ ذمة الميت بمجرّد ذلك، وإنما ترتبط براءة ذمته بأداء الأجير للحج على الوجه الصحيح، و كذلك الحال فى الحى الذى وجب عليه أن يستنيب شخصاً ليحج عنه.

وعلى هذا الأساس، لابدّ أن يكون الأجير مأموناً على أداء الحج، و التعرف على واجباته وأحكامه، وجديراً بالثقة والاعتماد، وإن كان عادلًا- إضافة إلى وثاقته ومعرفته- فهو أحسن وأفضل، كما يقول السيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه.

شروط النائب

ذكر الفقهاء شروطاً يجب توفرها فى النائب- سواء أكان متبرعاً بالنيابة عن الأصيل أم كان مستأجراً من قبله- فإذا لم تتوفر هذه الشروط فى النائب لا يصحّ حجّه وهى:

ص: ۳۸

الأول: البلوغ، فلا يجزى حجّ الصبىّ – ولو كان مميزاً – عن غيره فى حجّة الإسلام وغيرها من الحج الواجب، وتصحّ نيابة الصبى المميز عن غيره فى الحج المندوب إذا أذن له الولى به.

الثانى: العقل، فلا تصحّ نيابة المجنون الذى لا يتحقق منه القصد بالضرورة بين الفقهاء، بل العقلاء؛ لعدم اعتماد الجميع على أفعال المجانين، خصوصاً فى مثل هذا العمل الذى له أحكام كثيرة و موضوعات مختلفة. ولا فرق فى كون جنونه مطبقاً – أى مستمراً – أو أدوارياً – أى الذى يصاب بالجنون أحياناً – إذا كان العمل فى حالة جنونه، وأما السفيه فلا بأس باستنابته.

الثالث: الإيمان، لعدم صحّة عمل غير المؤمن.

الرابع: عدم اشتغال ذمة النائب بحجّ واجب عليه فى ذلك العام، فلا تصحّ نيابة من وجب عليه حجة الإسلام، أو النذر الضيق مع تمكنه من إتيانه، و أما مع عدم تمكنه لعدم وجود المال، فلا بأس.

ص: ۳۹

فلو حجّ عن غيره مع تمكنه من الحج لنفسه بطل على المشهور، وإن ذهب بعضهم إلى أنّ هذا الشرط إنما هو لصحة الاستنابة والإجارة، وإلّا فالحج صحيح، وإن لم يستحق الأجرة، وتبرء ذمة المنوب عنه على ما هو الأقوى. فيما ذهب بعض آخر إلى أنّ هذا الإنسان المكلف بالحج فى سنة النيابة لم يجز له إهمال ماهو واجب عليه من أجل أن يحج نيابة عن غيره، ولكن إذا صنع ذلك إهمالًا- لا جهلًا منه بوجوب الحج عليه- تصحّ نيابته وحجته النيابيّة وأن الإجارة لا تسوغ إذا كان الشخص المكلف بالحج عالماً بأنه مكلف وملتفتاً إلى ذلك.

أما إذا وقعت مثل هذه الإجارة أو

ص: ۴۰

أدی الأجیر الحج نیابة فهو یستحق- علی رأی هذا الفریق- الأجرة التی یتقاضاها الأجراء عادة للقیام بمثل ذلک العمل، وإذا كانت الأجرة المحددة فی الإجارة أكثر من ذلک لم یكن له المطالبة بالزائد؛ لأنّ الإجارة باطلة.

ولابدّ أن یكون هذا النائب متمكناً من واجبات الحج كافّة، وأما إذا كان معذوراً فی بعضها- لمرض أو غیر ذلک- فلیس من المعلوم أنّ نیابته عن غیره فی الحج الواجب كافیة- كما یقول السید الشهید الصدر+ فیفتاویه- وعلیه أن یستأجر لأداء الحج الواجب عن غیره، و إذا بادر وتبرع بأدائه عن الغیر فلا یكتفی بذلک.

ولا تشترط المماثلة بین النائب و المنوب عنه فی الذكورة والأنوثة، فتصحّ نیابة المرأة عن الرجل وبالعكس.

ولا فرق فی النائب بین أن یكون قد حجّ سابقاً أو لم یحج، وهناک من اشترط عدالة النائب، أو الوثوق بصحة عمله، وهذا الشرط إنما یعتبر فی جواز الاستنابة لا فی صحّة عمله، فیما ذهب السید السبزواری

ص: ۴۱

+ فی موضوع العدالهٔ إلی أنّ المناط إحراز صحهٔ عمله- بحسب القواعد الشرعیهٔ کقاعدهٔ الصحهٔ ونحوها- ولو کان فاسقاً، ومع عدم الإحراز لایجوز ولوکان عادلًا.

واشترط بعض معرفهٔ النائب بأفعال الحج وأحکامه، وإن کان بإرشاد معلّم حال کلّ عمل.

ویقول السید السبزواری: یمکن عدّ هذا الشرط من شرائط العمل المستأجر علیه، کما یمکن عدّه من شرائط العامل، لأنّه من الأمور الإضافیهٔ المتقوّمهٔ بالطرفین، وعلی أی تقدیر فالدلیل علیه- مضافاً إلی الإجماع- لزوم کون الأجیر قادراً علی إتیان العمل المستأجر علیه، ومع عدم المعرفهٔ کیف یقدر علیه؟!

وهذه بعض الروایات بخصوص الاشتراط فی النائب أن لا یکون علیه حجّ واجب، وحکم من حج نائباً مع وجوب الحج علیه، وأیضاً فی جواز استنابهٔ الصرورهٔ مع عدم وجوب الحج علیه.

- فعن محمّد بن یعقوب، عن عدهٔ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن سعد بن أبی خلف قال: سألت أبا الحسن موسی (ع) عن

ص: ۴۲

الرجل الصرورة يحج عن الميت؟

قال: نعم، إذا لم يجد الصرورة ما يحج به عن نفسه، فإن كان له ما يحج به عن نفسه، فليس يجزى عنه حتى يحج من ماله، وهى تجزى عن الميت، إن كان للصرورة مال، و إن لم يكن له مال.

- وعن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبى عبد الله (ع) فى رجل صرورة مات ولم يحج حجة الإسلام وله مال.

قال: يحج عنه صرورة لا مال له.

- وعن محمّد بن على بن الحسين بإسناده عن سعيد بن عبد الله الأعرج، أنه سأل أبا عبد الله (ع): الصرورة أيحج عن الميت؟

فقال: نعم، إذا لم يجد الصرورة ما يحج به، فإن كان له مال، فليس له ذلك حتى يحج من ماله، وهو يجزى عن الميت كان له مال أو لم يكن له مال (۱).

وفى خصوص عدم اشتراط المماثلة، روى عن بشير النبّال أنّه قال: قلت لأبى عبد الله (ع): «إنّ والدتى توفيت ولم تحجّ.

۱- انظر وسائل الشيعة، باب ۵ من أبواب الحج.

ص: ۴۳

قال: یحجُّ عنها رجل أو امرأة.

قلت: أیّهم أحبّ إلیک؟

قال: رجل أحبّ إلی».

وعن معاویة بن عمار أنّه قال: قلت لأبی عبد الله (ع): الرجل یحجّ عن المرأة، والمرأة تحجّ عن الرجل.

قال: لا بأس.

وعن أبی عبـد الله (ع) فی المرأة تحـج عن الصـرورة، فقال (ع): إن کانت قـد حجّت، وکانت مسـلمة فقیهة، فرُبّ امرأة أفقه من رجل (۱).

هذا، وقد اشترط فی المنوب عنه أن یکون مسلماً، فلا تصحّ النیابة عن الکافر، لا لعدم انتفاعه بالعمل عنه، لمنعه وإمکان دعوی انتفاعه بالتخفیف فی عقابه، بل لانصراف الأدلة، فلو مات مستطیعاً، وکان الوارث مسلماً، لا یجب علیه استئجاره عنه.

وبعد أن استعرض السید السبزواری+ أدلة ذلک، وهی الإجماع المتسالم بینهم، وما تقتضیه غریزة الاختلاف الدینی

۱- الوسائل، باب ۶ من أبواب النیابة فی الحج.

ص: ۴۴

والمذهبی.

استدل علیه أیضاً بأمور أخری:

فتارةً بأنّه لا ینتفع بالعمل.

وأخری بانصراف الأدلة عنه.

وثالثة بقوله تعالی: وماکان للنبیّ والذین آمنوا أن یستغفروا للمشرکین ولوکانوا أولی قربی (۱).

ورابعة: بقوله أیضاً: وأن لیس للإنسان إلّا ما سعی (۲).

وخامسة: بأنّ فعل النائب تابع لفعل المنوب عنه فی الصحة والفساد.

وبعد استعراضه لهذه الأدلة قال: والکلّ باطل، لإمکان حصول النفع فی الدنیا أو البرزخ أو تخفیف العذاب فی الآخرة، ولا وجه للانصراف، ولو کان فهو بدویّ.

والآیة الأولی فی مقام بیان أنّ الاستغفار لا ینفع المشرک عن الخلود فی النار، وأنّه نوع موادّة لمن حارب الله ورسوله، ولیست فی مقام عدم النفع أصلًا

۱- التوبة: ۱۱۳.

۲- النجم: ۳۹.

ص: ۴۵

ولو بنحو الجملة والإجمال.

وحيث إنّ عمل النائب كعمل المنوب عنه، فكأنّه من سعى نفس الإنسان، فيشمله إطلاق الآية.

وأما الأخير فلا دليل على الملازمة من عقل أو عرف أو شرع (۱).

و يشترط فى المنوب عنه أيضاً كونه ميتاً، أو حيّاً عاجزاً فى الحج الواجب. فلا تصحّ النيابة عن الحىّ فى الواجب، إلّا إذا كان عاجزاً. وأما فى الحج الندبىّ، فيجوز عن الحى والميت، تبرعاً أو بالإجارة، ولايُناب إلّا إذا استقرت عليه حجّة الإسلام، ولم يؤدها إلى أن مات، أو كان موسراً وعجز عن مباشرة الحج بنفسه.

وأما فى الحج المستحب، فتسوغ الاستنابة فيه عن الأموات والأحياء على السواء، شريطة أن يكون المنوب عنه مسلماً، ولافرق فى النيابة على العموم بين أن يكون المنوب عنه طفلًا مميزاً أو بالغاً، مجنوناً، إذا استقر عليه حال إفاقته ثمّ

۱- انظر مهذب الأحكام، للسيد السبزوارى ۲۳۶: ۲ المتن والهامش.

ص: ۴۶

مات مجنوناً- لإطلاق الأدلة الدالة على وجوب إخراج الواجبات المالية عن أصل التركة بعد تعلق الوجوب فى حال الحياة جامعاً للشرائط- أو كان عاقلًا، شيعياً كان أو سنياً، فتصحّ النيابة عن هؤلاء جميعاً.

ومن أحكامها أو شروطها، قصد النيابة، وتعيين المنوب عنه فى النية، ولو بالإجمال، ولايشترط ذكر اسمه، وإن كان يستحب ذلك فى جميع المواطن والمواقف، وهنا يقول السيد السبزوارى- تتميماً لهذا الحكم وتفصيلًا لدليله الذى ذكره الماتن-: أما اشتراط القصد فى النيابة؛ فلأنّها من العناوين القصدية المتوقفة عليه.

ص: ۴۷

وأما كفاية الإجمالى منه، فلعدم دليل على اعتبار الأزيد، بل مقتضى الإطلاقات، والأصل عدمه، كما أنّ مقتضاها عدم اعتبار ذكر اسمه أيضاً، وفى الصحيح:

«إنّ رجلًا سأل أبا الحسن الأول (ع) عن الرجل، يسميه باسمه؟

فقال (ع): إنّ الله لا تخفى عليه خافية».

وأما استحباب ذلك، فلصحيح ابن مسلم عن أبى جعفر (ع) «قلت له: ما يجب على الذى يحجّ عن الرجل؟

قال (ع): يسميه فى المواطن والمواقف».

المحمول على الندب جمعاً وإجماعاً.

ومن أحكام النيابة: إذا مات النائب قبل الإتيان بالمناسك فهنا صور ثلاث:

الأولى: أن يكون موته قبل الإحرام، وهنا لا يجزى عن المنوب عنه، لكون الأصل عدم فراغ ذمة المنوب عنه إلا بالإتيان.

الثانية: أن يكون موته بعد الإحرام ودخول الحرم وهنا يجزى عنه، فقد روى

ص: ۴۸

ابن عمار فی الموثق: «سألته عن الرجل یموت فیوصی بحجة، فیعطی رجل دراهم یحج بها عنه، فیموت قبل أن یحج، ثمّ أعطی الدراهم غیره، فقال (ع): إن مات فی الطریق أو بمکّة قبل أن یقضی مناسکه، فإنه یجزی عن الأول ...» (۱).

المؤیدة بمرسلة حسین بن عثمان عن أبی عبد الله (ع): «فی رجل أعطی رجلًا ما یحجه، فحدث بالرجل حدث، فقال: إن کان خرج فأصابه فی بعض الطریق، فقد أجزأت وإلّا فلا».

والمرسلة الثانیة، عنه (ع) أیضاً: «فی رجل أعطی رجلًا مالًا یحج عنه فمات، قال: فإن مات فی منزله قبل أن یخرج فلا یجزی عنه، وإن مات فی الطریق فقد أجزأ عنه».

الدالة علی أنّ النائب إذا مات فی الطریق أجزأ عن المنوب عنه، المقیدة بمرسلة محمّد بن محمّد بن النعمان المفید فی المقنعة قال: قال الصادق (ع): «من خرج حاجّاً فمات فی الطریق فإنّه إن کان مات

۱- الوسائل، باب ۱۵ من أبواب النیابة فی الحج.

ص: ۴۹

فى الحرم، فقد سقطت عنه الحجة، فإن مات قبل دخول الحرم، لم يسقط عنه الحج، وليقضى عنه وليه»، ولا فرق فى هذا الحكم بين الحج النفسى الذى يؤديه صاحبه والحج النيابى الذى يؤديه النائب، فالرواية شاملة للحاج عن غيره أيضاً، ولا يعارضها موثقة عمار عن الصادق (ع): «فى رجل حج عن آخر ومات فى الطريق، قال (ع): وقد وقع أجره على الله، ولكن يوصى، فإن قدر على رجل يركب فى رحله ويأكل زاده فعل».

الدالة على أنّ النائب إذا مات فى الطريق عليه أن يوصى، لأنّها محمولة على ما إذا مات قبل الإحرام، أو على الاستحباب، وهو- أى الاستحباب- من أحسن طرق الجمع بينهم.

الثالثة: أن تدركه الوفاة بعد الإحرام وقبل دخول الحرم، وفى الإجزاء هنا قولان:

القول الأوّل: الإجزاء؛ وقد نسب هذا إلى الشيخ وادّعى فى (خلافه) الإجماع عليه، ولكنه- كما يقول صاحب مهذب الأحكام- موهون بدعوى الإجماع عن غيره على خلافه.

وذهب بعض- كما عليه الماتن فى مهذب

ص: ۵۰

الأحكام- إلى عدم أبعدية الإجزاء وإن لم يقل به فى الحاج عن نفسه، مستنداً فى قوله هذا إلى إطلاق الأخبار فى المقام، والقدر المتيقن من التقييد هو اعتبار كونه بعد الإحرام، ومع هذا فإنّ صاحب هذا القول يختار أقوائية.

القول الثانى: وهو عدم الإجزاء، لأنّ الاشتغال اليقينى يقتضى الفراغ اليقينى، وظهور الإجماع، وللمرسلة: «من خرج حاجاً فمات فى الطريق، فإنّه إن كان مات فى الحرم فقد سقطت عنه الحجّة».

كما أنّ من يحج عن نفسه إن مات قبل دخول الحرم، لا يجزى عن حجّه، فكيف نقول به فى النائب مع عدم دليل معتبر للفرق بينهما؟! كما يقول صاحب مهذب الأحكام (۱).

۱- انظر مهذب الأحكام المتن والهامش ۲۴۱: ۱۲- ۲۴۳.

ص: ۵۱

أهل السنة

بعد أن استعرض جمع من فقهاء أهل السنة العبادات، معدّدين أنواعها- ونحن نذكرها باختصار- ذكروا ما تصحّ فيه النيابة دون غيره.

أولًا: العبادات المالية المحضة، وهى كالزكاة والكفارة وتوزيع الأضاحى، فإنّ هذه تجوز النيابة فيها عندهم بالاتفاق، وفى كلتا الحالتين: حالة الاختيار وحالة الضرورة، معللين ذلك بأنّ المقصود منها هو انتفاع أهلها بها، و الانتفاع حاصل منها سواء أكان بالأصيل و مباشرته أو بنائبه.

ص: ۵۲

ثانياً: العبادات البدنية المحضة وهى كالصلاة والصوم، ولأنّ المقصود من هذه العبادات إتعاب النفس، وإتعاب النفس لا يحصل إلّا بمباشرة الأصيل المكلف، ولا يتحصل بالنائب فلا يجوز النيابة فيها.

ثالثاً: العبادات المالية والبدنية، أى أنّها مركبة من الاثنين معاً، كفريضة الحج التى نحن بصددها، وقد اتفقت كلمة مذاهب أهل السنة- عدا المالكية- على جواز النيابة فيها بشرطين:

العجز أو الضرورة.

فعند العجز تجوز النيابة، وتجوز عند الضرورة أيضاً، فالمشقة المقصودة- كما يقولون- تحصل بفعل النفس، وتحصل بفعل الغير أيضاً إذا كان بماله- أى مال الأصيل- فالمشقة تحصل للأصيل المكلّف تارةً بنفسه وأخرى بماله.

وهذه العبادات عندهم تختلف عن الصلاة باشتمالها على القربة المالية غالباً بالإنفاق فى الأسفار.

أما المذهب المالكى، فعلى الصحيح عنده لا تجوز النيابة عن الحى فى حجّ الفرض أو النفل، بأجرة أو لا، كما أنّ

ص: ۵۳

الإجارهٔ فيه فاسدهٔ؛ لأنّه عمل بدنى لا يقبل النيابهٔ شأنه شأن الصلاهٔ والصوم فهو من العبادات البدنيهٔ المحضهٔ، والمقصود منه تأديب النفس بمفارقهٔ الأوطان وتهذيبها بالخروج عن المعتاد، من لبس المخيط وغيره؛ لتذكر المعاد والآخرهٔ والقبر، وتعظيم شعائر الله فى تلك البقاع، وإظهار الانقياد من الإنسان لما لم يعلم حقيقته، كرمى الجمار، والسعى بين الصفا و المروهٔ وغيرهما، وهذه مصالح ومقاصد لا تتحقق إلّا لمن باشرها بنفسه.

وحتى الميت- عندهم- إذا أوصى بالحجّ يصحّ عنه مع الكراههٔ، ويكره التطوع عنه بالحج (۱).

بعد هذا نعود إلى آراء فقهائهم وأقوالهم بخصوص هذا الموضوع.

أقوال فقهاء أهل السنّهٔ

قالت الحنفيهٔ: من لم يجب عليه الحج بنفسه لعذر كالمريض ونحوه، وله مال،

۱- انظر فى هذا كلًّا من فتح القدير ۳۰۸: ۲ وما بعدها، والبدائع ۲۱۲: ۲ ومابعدها، والقوانين الفقهيهٔ: ۱۲۸، ومغنى المحتاج ۴۶۸: ۱، ومتن الإيضاح: ۱۷، وغايهٔ المنتهى ۲۵۸: ۱ وغيرها.

ص: ۵۴

يلزمه أن يحج رجلًا عنه، ويجزئه عن حجّة الإسلام، أى أنّه تجوز النيابة فى الحج عند العجز فقط لا عند القدرة، بشرط دوام العجز إلى الموت، وأما المقصر الذى مات فتصحّ منه بل تجب الوصية بالإحجاج عنه ويكون من بلده، إن لم يعين مكاناً آخر، فهنا حالتان:

- العجز.

- وبعد الموت بالوصية.

أما المعتمد عند المالكية فهو: إنّ النيابة عن الحى لا تجوز، ولا تصحّ مطلقاً إلّا عن ميت أوصى بالحج، فتصح النيابة مع الكراهة وتنفذ من ثلث ماله، ولا حجّ على المعضوب إلّا أن يستطيع بنفسه للآية: من استطاع إليه سبيلًا، وهذا غير مستطيع.

وأما الشافعية: فقد أجازوا الحجّ عن الغير فى حالتين:

الحالة الأولى: حالة المعضوب: وهو العاجز عن الحج بنفسه لكبر أو زمانة أو غير ذلك، و هو الذى لا يثبت على الراحلة، بل يلزمه الحج إن وجد من يحج عنه بأجرة المثل بشرط كونها فاضلة عن

ص: ۵۵

حاجاته المذكورة فيمن حجّ بنفسه، لكن لا- يشترط نفقة العيال ذهاباً وإياباً؛ لأنّه مستطيع بغيره، لأنّ الاستطاعة كما تكون بالنفس، تكون ببذل المال وطاعة الرجال، فيجب على من عجز عن الحج بنفسه- لهرم أو مرض لا يرجى برؤه- الاستنابة إن قدر عليها بماله أو بمن يطيعه بأن كان متبرعاً موثوقاً به.

الحالة الثانية: وهى حالة من يأتيه الموت ولم يحج، فيجب على ورثته الإحجاج عنه من تركته، كما يقضى منها دينه، ويلزمهم أن يخرجوا من ماله بما يحج به عنه، بالنفقة الكافية ذهاباً وإياباً.

ومن هذا يتضح أنّ الاستطاعة عند الشافعية نوعان:

أ- استطاعة المباشرة بنفسه.

ب- استطاعة تحصيله بغيره.

ولكلّ منهما شروط.

فشروط الأولى:

الراحلة لمن كان بينه و بين مكّة مسافة القصر (مرحلتان) فصاعداً، والزاد، وأمن الطريق، وصحة البدن، وإمكان المسير: وهو أن يبقى من الزمان

ص: ۵۶

بعد وجود الزاد والراحلة، ما يمكن فيه السير المعهود إلى الحجّ.

وأما شروط الاستطاعة الثانية: فهى أن يعجز عن الحج بنفسه بموت أو كبر، أو زمانة أو مرض لا يرجى زواله، أو هرم بحيث لا يستطيع الثبوت على الراحلة إلّا بمشقة شديدة. وهذا العاجز الحى يسمى معضوباً.

وتجب الاستنابة عن الميت إذا كان قد استطاع فى حياته، ولم يحج، إذا كان له تركة، وإلّا فلا يجب على الوارث، ويجوز للوارث والأجنبى الحج عنه سواء أوصى به أم لا.

وأما المعضوب فلا يصح عنه الحج بغير إذنه، وتلزمه الاستنابة إن وجد مالًا يستأجر به من يحج عنه فاضلًا عن حاجته يوم الاستئجار خاصة، سواء وجد أجرة راكب أو ماشى، بشرط أن يرضى بأجر المثل، وإن لم يجد مالًا، ووجد من يتبرع عنه بالحج من أولاده الذكور أو الإناث، لزمه استنابته.

وتجوز الاستنابة فى حجّ التطوع للميت والمعضوب على الأصح، ولو استناب المعضوب

ص: ۵۷

من يحج عنه، ثمّ زال العضب وشفى، لم يجزه على الأصح، بل عليه أن يحج (۱).

أما إذا مات بعد التمكن من الأداء، لم يسقط الفرض، ويجب قضاؤه من تركته، ويجب قضاؤه عنه من الميقات؛ لأنّ الحجّ يجب:

أ- من الميقات.

ب- ويجب من رأس المال؛ لأنّه دين واجب، فكان من رأس المال كـدين الآدمى، وإن اجتمع الحـج ودين الآدمى، والتركـة لا تتسع لهما فالأصح أنّه يقدم الحج.

وأما الحنابلة، فهم كالشافعية أجازوا الحجّ عن الغير فى حالتين أيضاً:

الحالـة الأولى: المعضـوب: وهو من عجز عن السـعى إلى الحـج والعمرة لكـبر أو زمانـة أو مرض لاـ يرجى برؤه، أو ثقـل لايقـدر معه الركوب على الراحلـة إلّا بمشـقة غير محتملـة، أو آيست المرأة من محرم. فيلزم كلّ من هؤلاء الحـج إن وجد من ينوب عنه حراً، ومالًا يستنيبه به، فيحج عنه ويعتمر على الفور من بلده، أو من الموضع الذى أيسر منه إن كان غير بلده.

۱- انظر الإيضاح للنووى: ۱۶ ومابعدها، والمهذب ۱۹۹: ۱.

ص: ۵۸

أما النائب فيجوز عندهم أن يكون رجلًا عن امرأة وبالعكس، امرأة عن رجل، بلا خلاف بين العلماء، لكن يكره عند الحنفية إحجاج المرأة؛ لاشتمال حجّها عادة على نوع من النقصان، فإنها لا ترمل فى الطواف وفى السعى بين الصفا والمروة، و لا تحلق.

وإن لم يجد مالًا يستنيب به، فلا حج عليه بغير خلاف؛ لأنّ الصحيح (غير المريض) لولم يجد ما يحج به، لم يجب، فالمريض أولى، وإن وجد مالًا ولم يجد من ينوب عنه، فهل هو من شرائط الوجوب وهو المذهب، فلا يجب عليه شيء بعد الموت، أم من شرائط لزوم السعى للحج، فيجب الحج عنه بعد موته؟

ومن يرجى زوال مرضه وفك حبسه، ليس له أن يستنيب، فإن فعل لم يجزئه، لأنه يرجو القدرة على الحج بنفسه، فلم يكن له الاستنابة، ولا تجزؤه إن فعل كالفقير.

وإن عوفى المعضوب قبل إحرام النائب لم يجزئه حج النائب عنه اتفاقاً، للقدرة على المبدل قبل الشروع فى البدل، كالمتيمم يجد الماء.

ومتى أحج المعضوب عن نفسه، ثمّ عوفى، لم

ص: ۵۹

يجب عليه حج آخر؛ لأنّه أتى بما أمر به، فخرج عن العهدة، كما لو لم يبرأ.

وقال الشافعية والحنفية: يلزمه حج آخر؛ لأنّ هذا بدل إياس، فإذا برأ تبينا أنّه لم يكن مأيوساً منه، فلزمه الأصل، كالآيسة إذا اعتدت بالشهور، ثمّ حاضت، لا تجزؤها تلك العدة.

ولا يجوز الحج والعمرة عن حى إلّا بإذنه فرضاً كان أو تطوعاً؛ لأنها عبادة تدخلها النيابة، فلم تجر عن البالغ العاقل إلّا بإذنه كالزكاة.

الحالة الثانية: الميت الذى وجب عليه الحج: من وجب عليه الحج، لاستكمال الشرائط السابقة المطلوبة، ثمّ توفى قبله، فرّط فى الحج بأن أخره لغير عذر، أو لم يفرط كالتأخير لمرض يرجى برؤه أو الحبس أو الأسر أو نحوه، أخرج عنه من جميع ماله حجة وعمرة، ولو لم يوص به. ويكون الإحجاج عنه من حيث وجب عليه، لا ـ من حيث مكان موته؛ لأنّ القضاء يكون بصفة الأداء، بل يجب ألا يكون النائب من خارج بلده التى تبعد فوق مسافة القصر، ويجوز من نائب من بلد آخر دون مسافة

ص: ۶۰

القصر؛ لأنّ مادونها فی حکم الحاضر، وإن مات من وجب علیه الحج فی الطریق أو مات نائبه فی الطریق، حجّ عنه من حیث مات هو أو نائبه، فیما بقی مسافةً وقولًا وفعلًا.

أما عن المیت، فیسقط عنه بحج أجنبی عنه ولو بلا إذن ولیه؛ لأنه شبهه بالدین، أی أنّ الحج عن المیت یجوز عنه بغیر إذنه واجباً کان أو تطوعاً، بخلاف الحی، لأنه أمر بالحج عن المیت، مع العلم أنه لا إذن له، وما جاز فرضه جاز نفله کالصدقة.

وإن وصّی المسلم بحج نفل ولم یعین محل الاستنابة، جاز أن یحج عنه من المیقات أی میقات بلد الموصی، ما لم تمنع منه قرینة، بأن یوصی أن یحج بقدر یکفی للنفقة من بلده، فیتعین منها، فإن ضاق ماله عن الحج من بلده بأن لم یخلف مالًا یفی به، أو کان علیه دین، أخذ للحج بحصته، وحج به من حیث یبلغ، لشبهه بالدین.

وخلاصة ذلک: أنّ المالکیة والحنفیة یجیزون الحجّ عن المیت إذا أوصی، وتنفذ

ص: ۶۱

الوصية من ثلث المال، فيما أجاز الجمهور غير المالكية الحجّ عن الحى العاجز لمرض ونحوه.

وحجّ النائب يكون عند الحنفية والحنابلة من بلد المنوب عنه. أما عند الشافعية فيكون من الميقات، وتنفذ الوصية عند الشافعية والحنابلة من رأس المال، لا من الثلث فقط.

هذا، وأنّ حجّ النائب عن الميت يكون على الفور عند الجمهور؛ لقوله تعالى: وأتمّوا الحج والعمرة لله، ولله على النّاس حجّ البيت والأمر على الفور.

أما عند الشافعى فعلى التراخى، وللنائب تأخيره؛ لأنّ النبىّ أمّر أبابكر على الحج وتخلّف بالمدينة، لا محارباً ولا مشغولًا بشىء، وتخلف أكثر الناس قادرين على الحج، فدلّ على أن وجوبه على التراخى (۱).

أما بالنسبة للصرورة، وهو من لم يحج

۱- انظر مقالتنا «الفور والتراخى فى فريضة الحج» ميقات الحج، العدد ۹۸: ۱۱، وانظر كلّ هذا التفصيل فى الفقه الإسلامى وأدلته للدكتور وهبة الزحيلى ۳۷: ۳، والنووى فى حج الفرض فى المجموع شرح المهذب.

ص: ۶۲

عن نفسه، فقد أجازت الحنفية مع الكراهة التحريمية حجّ الصرورة، ولم يشترطوا أن يكون النائب قد حجّ عن نفسه، عملًا منهم بإطلاق حديث الخثعمية: «حجى عن أبيك» من غير استفسار عن سبقها الحج عن نفسها، وترك الاستفصال فى وقائع الأحوال ينزل منزلة عموم المقال أو الخطاب، أما سبب الكراهة فهو أنه تارك فرض الحج.

وقال المالكية: يكره الحج عن غيره، أى فى حالة الوصية بالحج قبل أن يحج عن نفسه، بناءً على أنّ الحج واجب على التراخى، وإلّا منع على القول بأنه على الفور، وهو المعتمد عندهم.

وقال الشافعية والحنابلة: لا يصح الحج عن الغير مالم يكن النائب قد حج عن نفسه حجة الإسلام؛ لأمر النبى رجلًا يلبى عن شبرمة، فقال له: حج عن نفسك، ثم عن شبرمة، ويحمل ترك الاستفصال فى حديث الخثعمية على علمه (ع) بأنها حجت عن نفسها أولًا، وإن لم يرد لنا طريق علمه بذلك، جمعاً بين الأدلة كلها، ويؤيده حديث آخر:

ص: ۶۳

«لا صرورة فی الإسلام» (۱).

وهو الذی رواه أبو داود بإسناد صحیح، بعضه علی شرط مسلم، وباقیه علی شرط البخاری، وقال الشافعی: أکره أن یسمی من لم یحج صرورة، وسمی صرورة لأنه صرّ بنفسه عن إخراجها فی الحج، وکذلک قال الحنابلة: تکره تسمیة من لم یحج صرورة، لحدیث لا صرورة فی الإسلام (۲).

روایات أهل السنة

استدل فقهاؤهم علی مشروعیة النیابة فی الحج بالأحادیث التالیة:

- عن ابن عباس وعن غیره: أنّ امرأةً من خَثْعَم، قالت: یا رسول الله، إنّ أبی أدرکته فریضة الله فی الحج شیخاً کبیراً، لا یستطیع أن یستوی علی ظهر بعیره.

قال: فحُجّی عنه (۳).

وقد رواه أحمد والنسائی بمعناه عن عبد الله بن الزبیر بلفظ: جاء رجل من

۱- انظر مسند أبو داود. الصرورة.

۲- المصدر نفسه.

۳- رواه أصحاب الکتب الستة عن ابن عباس، ورواه أحمد والترمذی.

ص: ۶۴

خثعم، يصف حال أبيه الكبير (۱).

وكان هذا فى حجّة الوداع.

وهو يدل على جواز الحج عن الوالد غير القادر على الحج.

- وعن ابن عباس أيضاً: أنّ امرأة من جهينة جاءت إلى النبى، فقالت: إنّ أمّى نذرت أن تحج، فلم تحج، حتى ماتت، أفأحج عنها؟

قال: نعم، حجّى عنها، أرأيت لوكان على أمّك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحقّ بالوفاء (۲).

فيما رواه الدارقطنى بلفظ: أتى النبى رجل، فقال: إن أبى مات، وعليه حجة الإسلام، أفأحج عنه؟

قال: أرأيت لو أنّ أباك ترك ديناً عليه، أقضيته عنه؟

قال: نعم.

قال: فاحجُجْ عن أبيك.

فقد دلّ هذا الحديث على إجزاء الحج عن الميت من الولد، وشبهه بالدين.

۱- نيل الأوطار ۲۸۵: ۴، سبل السلام ۱۸۱: ۲.

۲- رواه البخارى، والنسائى بمعناه عن ابن عباس كما فى نيل الأوطار ۲۸۵: ۴ وما بعدها، وسبل السلام ۱۸۱: ۲.

ص: ۶۵

- فيما دلّت رواية أخرى وفيها «إنّ أختى نذرت أن تحج» دلت على صحّة الحج عن الميت من الوارث وغيره؛ لأنّ رسول الله لم يستفصلها أوارثٌ هى أم‌لا؟

- وعن بريدة أنّه قال: جاءت امرأة إلى النبى فقالت: إنّ أمّى ماتت ولم تحجَّ [يقول صاحب التاج فى الهامش: يعنى حجة الإسلام] أفأحُجُّ عنها؟

قال: نعم حُجِّى عنها، رواه الترمذى فى الحج، ومسلم فى الصوم.

فصريح هذه النصوص- كما يقول صاحب التاج الجامع للأصول- يدل على أنّ من مات وعليه واجب للعباد كالدين أو لله كالحج والكفارة والزكاة والنذر، وجب على وليه قضاؤه من رأس ماله إن كان، و إلا ندب له قضاؤه، ولو قضاه أجنبى بإذن وليه كفى، ويجب الوفاء بنذر الحج ولا يسقط به الفرض؛ لأنه أصلى، وقيل: يجزىء عن النذر وحجّ الإسلام (۱).

۱- انظر التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول للشيخ منصور على ناصف ۱۱۰: ۲- ۱۱۱، وقد ذكر هذه الروايات أصحاب الكتب الستة.

ص: ۶۶

وقد دلّت السنة عندهم على اشتراط كون النائب قد حجّ عن نفسه، مستندين في هذا إلى ما رواه ابن عباس: إنّ النبی سمع رجلًا یقول: لبّیک عن شُبْرمة.

قال: من شُبْرمة؟

قال: أخ لی، أو قریب لی.

قال: حججت عن نفسک؟

قال: لا.

قال: حجّ عن نفسک، ثمّ حج عن شبرمة.

فیما روى أبو داود وابن ماجة أنّه قال: فاجعل هذه عن نفسک، ثمّ احجج عن شبرمة.

فیما ذکر الدارقطنی: هذه عنک وحجّ عن شبرمة (۱).

۱- أبو داود وابن ماجة، وانظر نیل الأوطار ۲۹۲: ۴.

ص: ۶۷

الشروط

وفی شروط الحج عن الآخر، اشترطت الحنفیهٔ عشرین شرطاً للحج عن الغیر، نستعرض بعضها مع ذکر آراء الفقهاء الآخرین فی أهمّها:

۱- النیهٔ

أی یجب علی النـائب أن ینوی عن الأصـیل عن الإـحرام؛ لأـنه یحـج عن الأصـیل لاـ عن نفسه. ویفضـل أن یقول النائب: أحرمت عن فلان، ولبیت عن فلان، ونویت الحج عن فلان وأحرمت به لله تعالی، ولبیک عن فلان.

ولو نسی اسمه فنوی عن الأصیل صح، أی أنّ نیهٔ القلب کافیهٔ، وهذا الشرط متفق علیه عند فقهائهم.

۲- العجز

أی أن یکون الأصیل عاجزاً عن أداء الحج بنفسه، وله مال. وإلّا فلا یصح هذا

ص: ۶۸

النوع من الحج، أى أنه إن كان صحيح البدن وله مال، لا يجوز حج غيره عنه. وهذا باتفاق جمهورهم إلا المالكية الذين لا يجيزون الحج عن الحى مطلقاً، وعليه: لايجوز أن يستنيب فى الحج الواجب من يقدر على الحج بنفسه إجماعاً.

۳- استمرار العجز

أى استمرار هذا العجز كالحبس والمرض إلى الموت، فلو زال هذا العجز قبل الموت لم يجزئه حج النائب؛ معلّلين هذا بأنّ جواز الحج عن الغير ثبت بخلاف القياس لضرورة العجز الذى لا يرجى برؤه، فيتقيّد الجواز به.

وأما الحنابلة، فقد قالوا بإجزائه، لأنّه أتى بما أمر به، فخرج عن العهدة كما لو لم يزل عذره.

۴- وجوب الحج

فلو حج الفقير أو غيره- ممّن لم يجب عليه الحج- عن الفرض، لم يجز حج غيره، وإن وجب بعد ذلك.

۵- وجود العذر قبل الإحجاج.

فلو أحج صحيح غيره، ثمّ عجز، لا يجزيه.

وهذان الشرطان الرابع والخامس

ص: ۶۹

مفهومان بداهة.

۶- أن تكون النفقـة من مال الأصـيل، كلها أو أكثرها، وهو رأى الحنفية، إلّا الوارث إذا تبرع بالحج عن مورثه، تبرأ ذمة الميت، إذا لم يكن قد أوصـى بالإحجاج عنه، فإن تطوع النائب بالحج من مال نفسه لم يقع عن الميت، وكذا إذا أوصى الميت المورث أن يحج عنه بماله، ومات، فتطوع عنه وارثه بمال نفسه، لا يجزى عن الميت؛ لأنّ الفرض تعلق بماله، فإذا لم يحج بماله، لم يسقط عنه الفرض.

أما الشافعية- وكذلك الحنابلة- فقد أجازوا التطوع بالحج من الوارث أو الأجنبى عن الغير مطلقاً، سواء أوصـى الميت أم لم يوص، أو لم يأذن الوارث للأجنبى، كمن يتبرع بقضاء دين غيره.

۷- أن يقع الإحرام من الميقات على النحو الذى طالب به الأصيل. فيما قال الحنابلة: يجب على النائب الحج من بلد الأصيل؛ لأن الحج واجب على العاجز أو الميت من بلده، فوجب أن ينوب عنه منه، والقضاء يكون على وجه الأداء، كقضاء الصلاة والصوم، وكذلك فى حج النذر

ص: ۷۰

والقضاء ...

۸- اشترطت الحنفيـة أن يـأمر الأصـيل بالحـج عنه، فلا يجوز الحـج عن الغير بغير إذنه إلّا الوارث، فله أن يحـج عن المورث بغير إذنه، وتبرأ ذمة الميت إذا لم يكن أوصى بالحج عنه، ودليلهم حديث الخثعمية المروى عن ابن عباس.

ولو حجّ عنه أجنبى تسقط عنه حجة الإسلام إن شاء الله تعالى، لأنه إيصال للثواب، وبعد الوصية يجزيه من غير المشيئة.

۹- إسـلام النائب والأصيل وتوفّر العقل لديهما، فلا يصحّ الحج من المسلم للكافر، ولا من المجنون لغيره، ولا عكسه، ولو وجب الحج عن المجنون قبل طروء جنونه صحّ الإحجاج عنه.

۱۰- أن يكون النائب مطلقاً (بالغاً عاقلًا)، وأجاز الحنفية كون النائب صبياً مميزاً.

وهناك شروط أخرى اكتفينا بأهمها، وللمزيد انظر الجزيرى فى الفقه على المذاهب الأربعة، والزحيلى فى الفقه الإسلامى وأدلته.

ص: ۷۱

ونكتفى بهذا القدر من مشروعية النيابة فى الحج عند المذاهب الإسلامية، وقد قلنا: إنّ النيابة تتحقق بالإجارة والتبرع والجعالة، آملين البحث مستقبلًا فى الإجارة المذكورة وشروطها وأحكامها.

الحج فى الأدب العربى

إدارة التحرير

مناجاة الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)

لكَ الحمدُ ياذا الجودِوالمجْدِ والعُلا تباركت تُعطى من تشاء وتمنعُ
إلهى وخلّاقى وحرزى وموئلى إليك لدى الإِعسار واليُسر أَفزعُ
إِلهى لئن جلت وجمّت خطيئتى فعفوُك عن ذنبى أَجلُّ وأوسعُ
إلهى لئن أَعطيت نفسى سؤلها فها أنا فى أرضِ النّدامة أَرتعُ
إلهى ترى حالى وفقرى وفاقتى وأنت مناجاتى الخفيّة تسمعُ
إلهى فلا تقطع رجائى ولا تزغ فؤادى فلى فى سَيب جُودِك مطمعُ

ص: ۷۲

إلهی لئن خیَّبتنی أو طردتنی فمن ذا الذی أرجو ومَنْ لی یشفع

إلهی أَجِرْنی من عذابِک إننی أسیرٌ ذلیلٌ خائفٌ لک أخضعُ

إلهی فآنِسنی بتلقین حجَّتی إذا کان لی فی القَبْر مثویً ومضجعُ

إلهی لئن عذَّبتنی ألف حجهٔ فحبلُ رجائی منک لا یتقطَّعُ

إلهی أذقنی طعْمَ عفوْک یوم لا بنونَ ولا مالٌ هنالک یَنْفعُ

إلهی إذا لم ترعَنی کنت ضائعاً وإن کنت ترعانی فلست أضیعُ

إلهی إذا لم تعفُ عن غیر محسن فمن لمسیء بالهوی یتمتّعُ

إلهی لئن فرَّطت فی طلب التُّقی فها أنا اثر العفو أقفو وأتَبعُ

إلهی لئن أخطأتُ جهلًا فطالما رجوتک حتی قیل ها هو یجزعُ

إلهی ذنوبی جازت الطّود واعتلَت وصفحُک عن ذنبی أجلُّ وأرفعُ

إلهی ینجی ذکرطَولک (۱) لوعتی وذِکْر الخطایا العینُ منِّی تدمَعُ

إلهی أنلنی منک روحاً ورحمهً فلست سوی أبواب فضلک أقرعُ

إلهی لئن أقصیتَنی أو طردتَنی فما حیلتی یا ربّ أم کیف أصنعُ

إلهی حلیف الحبِّ باللیل ساهرٌ یُنادی ویدعو والمغفّل یهجعُ

وکلهم یرجو نوالک راجیاً لرحمتک العُظْمی وفی الخلد یطمَعُ

۱- طولک: فضلک وإحسانک.

ص: ۷۳

إلهی یُمنینی رجائی سلامهً وقُبحُ خطیئاتی (۱) علیَ

یشیّعُ إلهی فإن تعفو فعفوک مُنقذی وإلّا فبالذّنْبِ المدمِّرِ أُصرَعُ

(إلهی بحقِّ الهاشمی وآله وحرمهْ إبراهیم خلّک أضرعُ)

إلهی فانشرنی علی دینِ أحمد تقیّاً نقیاً قانتاً لک أخشَعُ

ولا تحرمنّی یا إلهی وسیِّدی شفاعته الکُبْری فذاک المُشفَّعُ

وصلِّ علیه ما دعاک موحِّدٌ وناجاک أخیارٌ ببابک رُکّعُ (۲)

القصیدهْ الدالّیهْ لابن فارض

خَفِّفِ السّیر

خفِّفِ السّیرَ واتّئِدْ، یا حادی إنّما أنتَ سائِقٌ بِفُؤادی (۳)

ما تَری العِیسَ بَینَ سَوق وشَوْق لرَبیعِ الرُّبوعِ، غَرْثَی، صوادی (۴)

لم تُبَقّی لها المَهامِهُ جِسْماً غَیرَ جِلْد علی عِظام بَواد (۵)

۱- خطیئتی.

۲- دیوان الإمام علی*، تحقیق الأستاذ: نعیم زرزور.

۳- اتئد: تمهل. الحادی: سائق الإبل.

۴- غرثی: جائعهْ. صواد: عطاش.

۵- المهامه، الواحد مهمه: الفلاهْ.

ص: ۷۴

وتحَفّتْ أخْفافُها، فَهِیَ تَمْشی مِن وَجاها، فی مِثلَ جَمرِ الرّمادِ (۱)

وبَراها الوَنَی، فَحَلّ بُراها خَلّها تَرْتَوی ثِمادَ الوِهادِ (۲) شَفّها الوَجْدُ، إن عَدِمتَ رواها

فاسقِها الوَخْدَ مِن جِفارِ المِهادِ (۳) واستَبقْها، واستَبْقِها، فَهْیَ مِمّا

تَترامَی بِهِ إلی خَیرِ واد (۴) عَمْرَکَ اللّه، إن مَرَرْتَ بوادی

یَنْبُعٍ، فالدّهْنا، فبَدْرٍ، غادی (۵) وسَلَکْتَ النّقَا، فأوْدانَ وَدّا

ن، إلی رابغِ الرّویّ الثّمادِ (۶) وقطَعْتَ الحِرارَ، عَمداً، لِخَیما

قُدَید، مَواطِنِ الأمجادِ (۷) وتَدانَیْتَ مِنْ خُلَیص، فعسْفانَ،

فَمَرّ الظّهرانِ، مَلقَی البَوادی (۸)

۱- أخفافها، الواحد خف: وهو للبعیر بمنزلة الحافر للفرس. الوجی: الحفا.

۲- براها: هزلها. الونی: التعب. براها، الواحدة برة: حلقة تجعل فی أنف البعیر. ثماد الوهاد: بقیة الماء فی الأراضی المنخفضة.

۳- شفها: أنحلها حتی رَقت فظهر ما وراءها. الوجد: الحب. رواها: ما یرویها. الوخد: سیر سریع. الجفار، الواحد جفر: البئر الواسعة. المهاد: الأرض المنخفضة.

۴- استبقها: اسبقها. استبقها: احفظها. تترامی به: تتقاذف به، یرید تسیر علیها.

۵- ینبع، والدهناء، وبدر: مواضع. غادی: أراد غادیاً أی مبکراً، بالنصب علی الحال من التاء فی مررت.

۶- النقا، وأودان ودان، ورابغ: مواضع. الروی: المرتوی. الثماد: الماء القلیل.

۷- الحرار، الواحدة حرة: الأرض ذات حجارة نخرة سود کأنها أحرقت بالنار. قدید: اسم علم.

۸- خلیص، وعسفان، ومر الظهران: مواضع. ملقی البوادی: ملتقی أهل البادیة.

ص: ۷۵

ووَرَدتَ الجَمومَ، فالقَصَر، فالدّکناء، طُرّاً مَناهِلَ الوُرّادِ (۱)
وأتَیْتَ التّنْعیمَ، فالزّاهِرَ الزّا هِرَ نَوراً، إلی ذُری الأطوادِ (۲)
وعَبَرْتَ الحُجون، واجتَزْتَ، فاخترْ تَ، ازدیاراً، مشاهدَ الأوتادِ (۳)
وبَلَغتَ الخیامَ، فابْلِغْ سَلامی عَنْ حِفاظٍ، عُرَیْبَ ذاکَ النّادی (۴)
وَتَلَطَّفْ، واذکُرْ لهمْ بَعضَ ما بی من غرام، ما إنْ لَهُ مِنْ نفادِ
یا أخلایَ، هل یعود التدانی منکُمُ، بالحمی، بعَوْدِ رُقادی؟
مَا أمَرّ الفِراقَ، یَا جیرَةَ الحَ - - یّ، وأحلَی التّلاقِ بَعدَ انْفرَادِ (۵)
کیفَ یَلتَذّ بالحَیاةِ مُعَنّیً بَینَ أحْشائِهِ کَوَرْیِ الزّنَادِ
عُمْرُهُ واضْطِبارُهُ فی انْتِقاصٍ وَجَوَاهُ ووَجْدُهُ فی ازْدِیادِ
فی قُرَی مِصرَ جِسْمُهُ، والأُصَیحا بُ شَآماً، والقلب فی أجیادی
إن تعُدْ وقفة، فویق الص- حیرات روحاً سَعِدْتُ بَعدَ بعادِی (۶)

۱- الجموم: البئر الکثیرة الماء. القصر والدکناء: موضعان. المناهل، الواحد منهل: موضع الشرب. الوراد، الواحد وارد: الذی یأتی الماء لیشرب.

۲- التنعیم والزاهر الأولی: موضعان. الزاهر الثانیة: المشرق. النور: الزهر الأبیض.

۳- الحجون: جبل. الازدیار: الزیادة. الأوتاد: الجبال، وأراد هنا الأولیاء الصالحین.

۴- عن حفاظ: عن تحفظ.

۵- قوله التلاق: حذف الیاء تجوزاً، مراعاة للوزن.

۶- الصحیرات: موضع بعینه. رواحاً: مساء.

ص: ۷۶

یا رَعَی اللهُ یَوْمَنا بالمُصَلّی حَیْثُ نُدْعی إلی سَبیلِ الرّشادِ (۱)

وَقِبابُ الرّکابِ، بَیْنَ العُلَیْمَیْنِ ، سِراعاً، لِلْمأزِمَینَ، غوَادیْ (۲)

وَسَقَی جَمْعَنا بجَمْعٍ، مُلِثّاً ولُیَیْلاتِ الخیْفِ، صَوْبُ عِهادِ (۳)

مَنْ تَمَنّی مالًا وَحُسْنَ مَآلِ فَمُنائی مِنی، وأقصَی مُرادی

یا أُهَیْلَ الحِجازِ إنْ حَکَمَ الدّهْ رُ ببَینٍ، قضاءَ حتمٍ إرادی

فغرامی القدیم فیکم غرامی ووِدادی، کَما عَهِدْتُمْ، ودادی

قَدْ سکَنتُمْ مِنَ الفُؤادِ سُوَیْداهُ، وَمِنْ مُقلَتی سَوَاءَ السّوَادِ (۴)

یا سَمیری رَوّحْ بمَکّةَ، رُوحی شادِیاً، إنْ رَغِبْتَ فی إسْعادی (۵)

فَذَرَاها سِرْبی، وطِیبی ثَراها وَسَبیلُ المَسیلِ وِرْدی وَزَادی (۶)

کانَ فیها أنسی وَمِعراجُ قُدْسی وَمُقامی المَقامُ، والفَتحُ بادِ (۷)

۱- المصلی: موضع. سبیل الرشاد: طریق الخیر.

۲- العُلَیْمَیْن: تصغیر لمثّنی علم: الجبل. المأزمین: الضیقین.

۳- ملثاً: دائم المطر، وهو حال مقدم من صوب عهاد، أی المطر من أمطار الربیع.

۴- سویداه: حبته. سواء السواد: حبته.

۵- سمیری: محدثی لیلًا. روح: أعط الراحة.

۶- ذراها: ساحتها. سربی: طریقی. سبیل: طریق. المسیل: أی مسیل الماء.

۷- معراج: مصعد، سلم. الفتح: أراد به النصر. باد: ظاهر.

ص: ۷۷

نَقَلَتنی عَنها الحُظُوظُ، فَجُذّتْ وَارِداتی، وَلَمْ تَدُمْ أوْرَادی (۱)

آه لَوْ یَسْمَحُ الزّمانُ بعَوْدٍ فَعَسَی أنْ تَعُودَ لی أعْیَادی

قَسَماً بالحَطیم، وَالرّکْنِ، والأسْتَارِ، والمَرْوَتَین، مَسعْیَ العِبادِ (۲)

وَظِلالِ الجنَابِ، والحِجرِ، والمیزَابِ، والمُسْتَجار للقُصّادِ (۳) ما شَمِمْتُ البَشامَ إلّا وأهْدَی

لِفُؤادی، تحیّةً مِنْ سُعَاد (۴)

***

فی بیان حقائق مناسک الحج

عبدالرزاق الکاشانی (ت ۷۳۶ ه-)

إنّی وَإنْ تَرَنی لَحْماً عَلَی وَضمٍ عَوَّلتُ مِن جانِبِ المَولی عَلَی کَرَم

مَؤلَای مَوْلَایَ مَوْلی مَا اسْتَعَاذَ بِهِ ذوُ فاقَةٍ قَطُّ إلّا صَارَ ذَا نِعَمٍ

۱- جذت: قطعت. وارداتی: ما یرد إلی. أورادی، الواحد ورد: الجزء من القرآن.

۲- الحطیم: مکان بمکۀ. الرکن: أحد أرکان الکعبۀ. الأستار: أستار الکعبۀ، ما تستر به من النسیج. المروتان: هما المروۀ والصفا: جبلان فی مکۀ. مسعی العباد: أی حیث یسعی العباد فی حجهم.

۳- الجناب: هضاب فی مکـۀ. الحجر: أراد حجر إسـماعیل فی البیت الحرام. المیزاب: أراد میزاب الرحمۀ فی البیت الحرام. المسـتجار: اسم موضع.

۴- البشام: شجر طیب الرائحۀ.

ص: ۷۸

وَلَا تَوَکَّلَ مُسْقامٌ وَ لَادنِفٌ عَلَیْهِ إلّا وَقَدْ عَافَاهُ مِنْ سقَمِ
وَلَا اسْتَعَانَ بِهِ مُسْتَضْعَفٌ وَجِمٌ إلّا وأنْقَذَهُ مِنْ أَزْمَةِ الغَشمِ
فَثِقْ بِهِ وَتَوَکَّلْ فِی بَلِیَّتِهِ عَلَیْهِ تَحْظ بِهِ فِی البُؤْسِ وَالنِّقَمِ
سَلِّمْ إلَیْهِ وُجُوداً حَقُّهُ عَدَمٌ ألا تُسَلِّمُ مَالَمْ یَبْدُ عَنْ عَدَم؟!
فَوِّضْ إلَیْهِ أمُوراً لا تُصَرِّفُهَا فَلَیْسَ فِی یَدِکَ التَّصْرِیفُ بِالقَلَمِ
وجَرِّدِ العَزْمَ وَاسْلُکْ فِی مَحَجَّتِهِ سَهْلًا وَ لافَرْقَ بَیْنَ الرَّأسِ وَالقَدَمِ
مَا نَالَ مَقْصُودَهُ مَنْ کانَ فِی طَلَب وَالعَزم فِیهِ فُتُورٌ شَابَ بِالنَّدَم
إذَا رَأَیْتَ بِعَیْنِ القَلْبِ خَلوَتَهُ فِی صُورة القَادِرِ الفَعَّالِ ذا اعتَصِمِ
بِحَوْلِهِ فَلَهُ الحَوْلُ الشَّدِیدُ إذَا فَعَلْتَهُ فَلَکَ الوُثقَی مِنَ العِصَمِ
لَا کَوْنَ لِلخَلْقِ کَیْفَ الحَوْلُ عَنْ عَدَم والقُوَّةُ ابْرَأ بِهِ مِنْ کُلٍّ مُتَّهم
إذَا قَدَرْتَ عَلَی ذَا فَاعْلَمَنَّ بِهِ بِأَنَّهُ مُقَدِّرٌ إیَّاکَ لَاتُهَم
وَاطلُبْ مَرَاضِیَهُ فِیما فَعَلْتَ وَکُنْ عَنْ فِعْلِهِ رَاضِیاً فَالْکُلُّ بِالْحِکَمِ
وَاحْرُزْ قُوَاکَ وَمَا مِنهَا بِرُمَّتِهِ فَإنَّها فَضَلاتٌ فِیکَ کَالزّنَمِ
وَانظُرْ إلَی المُمْکِنِ المَوْجُود عَنْ عَدَم فَإنَّ مَوْقِعهُ لا شَیْءَ فِی القِدَمِ
وَمَا حقِیقَتُهُ أمْرٌ تُخَیِّلُهُ فَلا وُجُودَ لَهُ، وَاللهِ- ذا!- قَسَم
إنَّ المُوَحِّدَ لَمْ یُبْصِرْ سِوی أحَدٍ وَلَایَری أحَدٌ نَهْجاً سِوی امَمِ
فَوَجهُهُ مُتجَلٍّ، أَینَ ذُو بَصَرٍ؟ وَنَهْجُهُ مُستَقِیمٌ، أیْنَ ذُو قَدَم؟

ص: ۷۹

وَجَّهْتُ وَجْهِی لِلهِ الَّذِی فَطَرَ ال- .. أعیَانَ لِلکُلِّ وَالأَرواحَ لِلنِّسَمِ
أَحرَمْتُ عَمَّا سِواهُ قاصِداً سَنَداً إِلَیهِ مُستَنَد الأَحیاءِ وَالرِّسَم
مِمَّا حواهُ یَدِی أو ضَمَّهُ خَلَدِی بَرِئتُ قَبْلُ دُخُولِی حَوْمَةَ الحَرَمِ
إذا خَلَعتُ صِفاتِی لابِساً صِفَةَ ال- .. قُدُّوسِ فَکَّرْتُ فِی تَقْبِیلِ مُسْتَلِمِ
وَطُفتُ بِالبَیْتِ کَالأَ مْلاکِ حَوْلَ حمَیال .. جَبّارِ طَوْفاً عَلَی الهاماتِ وَالغَمَمِ
وَکُنْتُ إِذ شاهَدَ الرُّوحُ الجَمالَ کَما صَلَّی الخَلِیلُ أصَلِّی تِلوَ مُحتَشِمِ
ثُمَّ المَشاهِدُ صَفَّی القَلْبَ عِزَّتُهُ وَالنُّورُ مِنهُ سَعی فِی النَّفسِ وَالإِدَمِ
وذاکَ سَعیٌ مِن طُور الصَّفاءِ إلی جُلمُودِ مَرْوَةَ بِالأَشواطِ مُختَتَمِی
تُفنی البَقِیَّةُ مِنِّی بَعْد بَاقِیَةِ إفْناؤُها الحُرمَةُ العُظمی مِنَ الحَرَمِ
فَکَانَ آخِرُ أطوارِی لِمُعتَمَرِی وَالحِلُّ یَحْکُمُ بِالتَّقْصِیرِ ذا حکم
فَأَوجَبَ الحُبُّ إحرامَ الفناءِ لَهَا فَیَالَها عَزْمَةً مِنْ أَوفَقِ العِزَمِ
إذ کُنتُ أُنشأُ إِحرَاماً وَمُنشِئُهُ ذَاکَ الحَبِیبُ یَقِیناً لَیْسَ ذا غمَمِ
فَسِرْتُ فِیهِ بِهِ حَتّی وَقَفْتُ لَهُ فِی مَوْ قِفِ عَرَفات وَسْم ذَا العَلَمِ
وَالجَمْعُ بَعْدَ صَلوةِ الصُّبحِ مُزدَلِفٌ وُقُوفُهُ رافِعُ التَّلوِینِ وَاللَّمَمِ
فَذَاکَ بَعْدَ زَوال الرُّوحِ فانِیَةً وَذا بِنُورِ جَمالِ الذّاتِ مُختَتَمِی
وَعِندَ قُوَّةِ نُورِ الشَّمسِ قدْ فَنِیَتْ مِنِّی البَقایا حویً مُسوّدَةَ الحِمَمِ
طَفِقْتُ أَرمِی وَ لا أَرمِی حصَیَّتها لکِنّ رَامِیَها رامِی قوی صَنَمِی

ص: ۸۰

أَغْنِی أنَانِیَّتِی طَرْداً وَمَا تَبعَتْ فَإنَّها جَسَمُ الشَّیطانِ لا جَسَمِی

وَکُنْتُ أَذْبَحُ نَفْسِی کَالخَلیلِ إذا رُؤیاهُ صَدَّقَها فِی صُورَةِ الغَنَم

وَکُلُّ مَا تَبعَتْها مِنْ غَرائِزها وَالحَلقُ رَمزٌ إلی إفناءِ ذی الشِّیَم

ثُمَّ اسْتَقَمْتُ بِهِ فِیما أُمرتُ بِهِ فَطُفتُ لِلحَجِّ وَاستأنَفتُ مُنتَزَمِی

مِمَّا فَعَلتُ بِنَفْسِی عِنْدَ مُعتَمِری وَالرَّمی نَفیُ ثَلاث فِیَّ کَالوَذَم

منفِیَّةٌ وَجَدت بِاللهِ ثَابِتَةً أفعَالها أشْبَهَتْ فِی أَعیُنِ الأُمَم

شَتَّان بَینَهُمَا فِی الَحالَتَیْنِ بَدَا مِنهَا التَّفاوُتُ بَینَ النّاس فِی القِیَم

تِلکَ المَناسِکُ مَقضِیّاتُ صاحِبِکُم وَهُوَ الَّذِی مَعَکُم فِی القَاعِ وَالأکَمِ

لَعَلَّ مَنْ سَمِعَتْ أُذُناهُ قِصَّتَهُ یُمْسِی یُکَذِّبُ أوْ یَرْمِیهِ بِالهرَم

یَقُولُ کَیْفَ؟ وَمَا حَانَتْ مَواسِمُها وَأَیْنَ بَکَّهْ وَالرُّکبانِ فِی اللُّقَم

هَذا وَقَدْ عُذرا إذ کانَ مَا سَمِعوُا شیئاً فُؤَادُهُمُ عَنْ فَهمِ ذاک عَمِی

أَکَانَ ذلِکَ حَقّاً لَمْ یَکُونُ وَکُنتُ حِینَئِذ یَقْظانُ لَمْ یَنم

کَأَنَّ أَعیُنُهُمْ کَفَّتْ بِأغشِیَهْ وَسُدّ إذ أَنَّهُمْ عَنْ ذاکَ بِالصِّمَم

یَا أَیُّهَا العَارِفُ المَقْضِیُّ حجَتَهُ صَدِّق فَإنَّهُمُ فِی الحَجِّ کَالنِّعَم

إلّا أَوَامِرَ تَشْرِیع قَدْ امتَثَلُوا فَاستنقَذُوامِنْ عَذَابِ النَّارفِی الخِصَم

وَاسْتَسعَدُوا بِنَعِیم لا یُکَدِّرُهُ خَوْفُ النّفَادِ وَ لَا التَّنغِیص بالشنم

زُرْتُ الحَبِیبَ إذَا طَهَّرْتُ مُتّبِعاً لهدیه قَاضِیاً لِلْحَقِّ فِی العظم

ص: ۸۱

خُذْهَا عَجِيبَةَ أَحْوَالِى فَمَا سَمِعَتْ أُذُنٌ نَظِيرَتَها فِى العُرْبِ وَالعَجَمِ

شُكراً لِأنْعُمِهِ حَمْداً لِقِسْمَتِهِ فَقَدْ رَضِيتُ مِنْ الجَبَّارِ بِالقِسَمِ

***

ص: ۸۲

حوار مع ممثّل الولى الفقيه لشؤون الحج والزيارة

سماحة حجة الإسلام والمسلمين

محمدی الری شهری،

حول خصائص الحج للعام ۱۴۲۴ ه-. ق

التقينا- و على العادة فى كل عام بعد حج التمتع- سماحة حجة الإسلام والمسلمين محمدى الرى شهرى- دامت إفاضاته- ممثل الولى الفقيه ومسؤول بعثة الحج فى الجمهورية الإسلامية، لنوقف قراءنا الكرام على كيفية إقامة مراسم الحج والمشاكل التى تواكب هذه الشعيرة، وتقديم تقرير عن أهم النشاطات والأعمال الثقافية لحج عام ۱۴۲۴ ه-. ق.

ص: ۸۳

میقات الحج: نشکر سماحتکم علی إتاحة الفرصة، ما هو تقویمکم لحج عام ۱۴۲۴ ه- . ق؟

الشیخ الری‌شهری: بسم الله الرحمن الرحیم، بعد الشکر والتقدیر لجهود الإخوة العاملین فی مجلة «میقات الحج» نحاول الإجابة عن سؤالکم ضمن المحاور التالیة:

۱- إحصائیة الزائرین الإیرانیین طبقاً لآخر التقاریر:

بلغت إحصائیة الحجاج القادمین من إیران إلی المملکة العربیة السعودیة فی عام ۱۴۲۴ ه- . ق (۹۶۱۰۳) حاجاً، بینهم ما یقرب من (۱۸۱۳) زائراً أفغانیاً، و (۱۶۷) زائراً عراقیاً، وما عدا هؤلاء من العاملین فی خدمة الزائرین، وهم عبارة عن أعضاء البعثة، واللجنة الطبیة، والإذاعة والتلفزیون، وقرّاء القرآن الکریم، والطاقم الجوی، وغیرهم من أفراد المؤسسات المعنیّة، ومن العاملین فی إعداد البرامج الغذائیة المرکّزة، ولجان الإشراف علی الذباحة.

ص: ۸۴

ومن الجـدير بالذكر أن تكاليف سـفر (۵۲۷) شـخصاً قـد دفعت مسـبقاً من قبل الجهات المختصة، ونصف تكاليف (۳۰) قارئاً للقرآن دفعت من قبل وزارة الأوقاف والامور الخيرية.

وقـد بلغت مجموع رحلات الحجاج الإيرانيين (۵۲۲) رحلة، كانت نسـبة الرجال فيها (۷۸/ ۵۳٪)، ونسبة النساء (۱۳/ ۴۶٪)، وأما نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة من مجموع الحجاج فكانت تزيد على (۵۵٪).

هذا، وقد بلغ مجموع الحجاج القادمين

ص: ۸۵

من مختلف البلدان إلى السعودية حسب آخر الإحصائيات (۷۰۶/ ۴۱۹/ ۱) زائراً، ومجموع حجاج عام ۱۴۲۴ ه-. ق يقرب من (۰۰۰/ ۳۰۰/ ۲) زائراً، ومن ذلك يظهر أن ما يقرب من (۸۰۰) ألف حاج هم من أبناء الشعب السعودى.

لقد كشفت بعض الإحصائيات أن دخل الدولة السعودية خلال موسم الحج كان زهاء (۲/ ۵) ميليارد ريال سعودى، أى ما يعادل (۴۵/ ۱) مليارد دولار.

۲- الشعور بالحاجة إلى منجى:

كان الشعور بالحاجة إلى قائد ومنج واحد للعالم الإسلامى فى حج العام الماضى يفوق الإحساس بالحاجة إلى ذلك فى السنوات الماضية، فأهم الخصائص التى يمكن بحثها فيما يرتبط بحج عام ۱۴۲۴ ه-. ق هو اهتمام العالم الإسلامى وشعوره بمنطقة الفراغ والحاجة إلى قيادة الامة الإسلامية، وها نحن نجد هذا الشعور يتزايد وينتشر فى العالم شيئاً فشيئاً.

لقد بحثنا موضوع المهدوية فى هذا العام مع حجاج سائر البلدان، سواء فى لقائهم معنا أو مع أعضاء البعثة، حيث

ص: ۸۶

طرح هذا الموضوع أكثر من السـنوات السابقة، ومن الملفت للنظر أن ذلك كان- وبدون علم مسـبق منّا أو تنسيق- محور أبحاث أكثر الاجتماعات و الملتقيات، وأيضاً محور أبحاث بعثة قائد الأمة على المستوى العالمی.

۳- قراءة دعاء كميل بين حرم رسول الله و أئمة البقيع:

الأمر الآخر الذى يعتبر من خصائص حج العام الماضى هو أداء مراسم دعاء كميل على أحسن وجه، والسبب فى ذلك شعور الحكومة السـعودية بالخطر تجاه نشاط الوهابيين المتشـددين، حيث شـدّدت الحكومة الرقابة تحسّـباً للأحداث المحتملة، مما أدى إلى انخفاض عـدد المشاركين من الحجاج غير الإيرانيين، حتى أن البعض كان يقف جانباً وعلى بُعـد من محل إقامـة الـدعاء، لكننا شـهدنا حضوراً ومشاركةً أكثر للحجاج فى الأدعية الاخرى، لقد أوضـحت أحداث دعاء كميل فى الحج الماضـى أن بين الحركة الوهابية والمسؤولين السعوديين فى هذا الشأن اختلافاً واضحاً.

وقد قررت جماعة من الوهابية فى أول مراسم دعاء كميل لحجاج بيت الله الحرام

ص: ۸۷

(المدینة بعد الحج)- والذی یعتبر فی الحقیقة المراسم الثالثة لهذا الدعاء فی هذا البلد الطیب- مداهمةَ المشارکین فی هذه المراسم، لکن الحکومة السعودیة واجهتهم وقبضت علیهم، فعلی الرغم من وجود بعض المخاطر تمکّنا- وبحمد الله- من إقامة دعاء کمیل علی أربع دفعات ولجمیع المشارکین فی مراسم الحج (المدینة قبل الحج، والمدینة بعد الحج) وذلک بمشارکة عالیة وحضور فائق ومعنویة خاصّة من جانب الحجاج.

۴- مراسم البراءة من المشرکین:

کانت مراسم البراءة من المشرکین عام ۱۴۲۴ ه-. ق والتی أقیمت فی صحراء عرفة من أکثر المراسم عظمة وجزالة، لکن الحکومة السعودیة لم تکن قد سمحت لنا عشیة عرفة فی إعداد المخیمات حتی طلوع الفجر لإقامة هذه المراسم، ولکنّا سرعان ما عدنا إلی عرفات وقمنا بتشیید الخیام لغرض مراسم البراءة.

کانت مشارکة الحجاج غیر الإیرانیین قیاساً بمراسم البراءة فی الأربعة عشر سنة الماضیة- وهی مدّة استلامی لمسؤولیة

ص: ۸۸

البعثة- أکثر حماساً و مشارکة.

۵- قراءة بیان قائد الثورة الإسلامیة:

تعالت الهتافات ضـد أمریکا وإسرائیل لـدی قراءة بیان قائد الثورة الإسـلامیة باللغة الفارسـیة والذی ترجم إلی اللغة العربیة أیضاً، ومن الخصائص الاخری لحـج عام ۱۴۲۴ ه- ق زیـارات الحجـاج غیر الإیرانیین الکثیرة والواسـعة النطاق لمقرّ بعثـة السـید القائـد، حتی أن المقرّ کان یضـیق بالحاضـرین أحیاناً، ولم نجـد الفرصـة للقاء زائرین جـدد، وهـذا الأمر یـدل علی أنّ الجمهوریة الإسـلامیة فی إیران، صارت نقطة الانطلاق وأمل المسلمین، وأنّ هذا الأمل یتزاید یوماً بعد آخر.

۶- لقاء مسؤولی البعثات الاخری:

التقینا سـتة عشـر شـخصاً من مسؤولی البعثات من سائر البلـدان، أمثال وزیر الحـج الجزائری، ووزیر الحـج والأوقاف الیمنی، ومسؤولی البعثـات فی أفغانسـتان، وعمـان، والعراق، وحزب الله، وکـانت اللقـاءات مفعمـة بجوٍّ من الودّ والمحبـة، حیث تناولنا معهم الامور ذات العلاقة بین الجانبین.

ص: ۸۹

۷- لقاء الشخصیات العلمیة والسیاسیة البارزة:

کان لنا لقاءات مفیدة مع عدد من الشخصیات العلمیة والسیاسیة سواء فی داخل البعثة أو خارجها، فقد التقینا الشیخ صالح الحصین مسؤول شؤون الحرمین، وتحدثنا معه حول ظاهرة العام الماضی، وهی ترجمة خطب وکلمات بعض أئمة الجماعات والتی تضمّنت بعض الإهانات للشیعة، بل وجَّه بعضها الإهانة لشخص رسول الله، وقد طلبت التصدی بحزم لمثل هذه الأمور، کما التقینا وزیر الحج الیمنی، وهو شاب فاضل، له معرفة بأمور بلدنا، وعلی وعی واطلاع علمی جید.

وعلی أیّ حال، إنّ بإمکان مثل هذه اللقاءات أن تکون مفیدة ومجدیة لکلا البلدین.

۸- الملتقیات:

عقدنا فی حج العام الماضی (۱۲) ملتقی، کان زهاء النصف منها علی مستوی عالمی، وعلی ضوء التقاریر الواصلة إلینا، کان عدد المشترکین فی هذه الملتقیات ما یقرب من الأربعة آلاف شخصیة من مختلف الممالک والأقطار.

ص: ۹۰

۹- نشاطات قسم المذهب السنی:

کان لقسم المذهب السنی فی البعثة نشاطات فاعلة وقویة، حیث کانت لهذا القسم- وبالإضافة إلی اللقاءات الإعلامیة العادیة- لقاءات خاصة مع شخصیات علمیة ودینیة سعودیة وغیرها من مختلف البلاد الإسلامیة.

۱۰- تفعیل نشاط الحرکة الوهابیة:

شدّدت الحکومة السعودیة من الرقابة الأمنیة فی حج العام الماضی خوفاً من مداهمة المتشددین للحجاج، فکان السلفیّون تحت ضغط الدولة السعودیة، ولم یواجه الحجاج الإیرانیون فی هذا المجال أیّة مشاکل تذکر.

علی أنّ السلفیین ضاعفوا من نشاطهم ضد الشیعة عن طریق توزیع الکتب والنشریات والأشرطة، إلّا أنّهم مع ذلک لم یتمکّنوا من خلق مشاکل لحجاجنا، فکان موسم الحج لعام (۱۴۲۴) الموسم الوحید الذی لم یتحدث فیه خطباء مسجد النبی والمسجد الحرام ضد الشیعة، فبعثت رسالة شکر عن طریق سفیرنا فی السعودیة إلی السید الأمیر نایف وزیر الداخلیة

ص: ۹۱

للمملكة العربية السعودية جاء فيها: إنّ هذه السنة هى السنة الأولى التى لم يَمس الخطباء فى صلاة الجمعة المذاهب غير الوهابية بسوء.

۱۱- أصداء نجاح حزب الله- لبنان:

لقد كانت لنجاحات حزب الله لبنان على صعيد تحرير الأسرى والمعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين؛ أصداء إيجابية واسعة فى الحج الماضى، كما أدى بث احتفالات تبادل الأسرى إلى تعميق الارتباط بحزب الله والمقاومة الإسلامية فى لبنان أكثر فأكثر.

۱۲- أصداء أخبار الانتخابات النيابية (الدورة السابعة):

كان لأخبار انتخابات مجلس الشورى السابع فى إيران والخلاف الناجم عن ذلك آثارها السيئة فى نفوس الحجاج، خاصة المتابعين منهم لتطور الامور السياسية فى إيران، حيث كانوا يتساءلون عن سرّ الاختلاف والأسباب الباعثة لذلك.

۱۳- الحضور الفاعل للزائرين العراقيين:

من خصائص حج سنة (۱۴۲۴ ه-. ق) الحضور الفاعل للزائرين والشيعة العراقيين، والذى يعتبر فريداً من نوعه

ص: ۹۲

بعد سقوط صدام، حیث قامت المملکة العربیة السعودیة- کما قیل- بدفع بعض تکالیف هؤلاء الزائرین.

لقد کان الحجاج العراقیون فی السنوات الماضیة یخضعون للرقابة المشددة، حیث کان عناصر النظام یتابعون علاقات الحجاج العراقیین مع غیرهم بدقة، لکنهم فی هذا العام شعروا بحریة مطلقة.

۱۴- مشاکل قرب البقیع:

کنّا نواجه فی حج العام الماضی بعض المشاکل قرب البقیع واحد، لکن حیث لم یکن لعناصر الأمر بالمعروف أو بالأحری: السلفیین حضوراً فاعلًا سنح ذلک للحجاج أداء شعائرهم بحریة تامة، وبالطبع کان لبعض الزائرین الإیرانیین وغیرهم سلوک ابتزازی حیث کانوا- ومن خلال الصلاة داخل وخارج المقبرة- یقدّمون الذرائع للسلفیین، مما دفعنا للتفکیر فی إیجاد حلّ لهذه المشکلة فی السنوات القادمة.

۱۵- إرسال (۱۴۵) إمرأة مبلّغة:

لقد استفدنا فی حج عام (۱۴۲۴)- ولأول مرة- من الخدمات الثقافیة لبعض المرشدات لفئة خاصة من الحجاج، أی

ص: ۹۳

النساء، فقـد وردت تقارير حاكية عن النجاح الباهر- والذى فاق تصورنا- الذى حققته المرأة المبلّغة، وها نحن نبارك جهود الأخوات والحوزات العلمية، ونسأل المولى القدير لهم المزيد من التوفيق.

لقـد كان لهذه الأخوات فى مكة والمدينة برامج إرشادية وتعليمية أيضاً، ونحن نأمل من خلال وضع خطة خمسـية- على مدى خمس سنوات- إعداد المرأة المرشدة للقيام بدورها فى جميع رحلات الحج.

لقد اسـتقرّ عدد من الأخوات المرشدات فى مقرّ البعثة لتلقى المسائل الشرعية المرتبطة بالمرأة والإجابة عنها، وكنّ قد حضرن أيضاً فى مسجد الشجرة ساعة رحيل الحجاج إلى مكة؛ لغرض الإجابة عن أسئلة النساء.

۱۶- الإجابة عن المسائل الشرعية:

كان لأعضاء لجنـة الاسـتفتاء المسـتقرة فى بعثة السـيد القائد حضور فاعل ومسـتمر منذ بداية شـعائر الحج وحتى انتهائها، حيث كانوا- وطبقاً لبرنامج مدروس- يجيبون عن أسئلة السائلين فى جميع مواقيت

ص: ۹۴

الحج والمسجد الحرام والمشاعر، حتی أن الشیعة من العراقیین والأفغان وسائر البلدان الاخری کانوا یرجعون فی مسائلهم إلی لجنة الاستفتاء ویتلقّون الإجابة منها.

۱۷- عمل الرابطین بین البعثة والمبلّغین:

من خصائص حج عام (۱۴۲۴) الاخری تقویم الأعضاء فی البعثة لأعمال علماء الدین ومساعدیهم فی مکة والمدینة، حیث تمَّ عن طریقهم اختیار (۷۶) عالماً دینیاً، رفعت معاونیة شؤون علماء الدین أسماءهم إلینا، حیث نأمل الاستفادة التامة من هؤلاء الأفاضل فی المستقبل.

۱۸- اللجان الإرشادیة:

بذلت لجان الإرشاد فی حج عام (۱۴۲۴) جهوداً قیّمة، حیث تمَّ تشکیل هذه اللجان فی إیران، وقد وزّعت علیهم کراریس تتعلق بالعمل الإرشادی لیمارسوا علی ضوئها أعمالهم الثقافیة، ویساعدوا علماء الدین ومسؤول کل رحلة وزائریها، وکانت نشاطاتهم جیدة ومرضیة للغایة.

تتضمن هذه اللجان (۱۱۰) أشخاص

ص: ۹۵

یملکون شهادة الدکتوراه، و (۱۹۸) شخصاً یملک شهادة الماجستیر، و (۹۳۳) شخصاً یملک شهادة البکالوریوس، و (۱۰۳) من طلاب العلوم الدینیة، وإنّی لأری من اللّازم أن نشکر مساعی جمیع المتعاملین مع لجان الإرشاد.

۱۹- استقصاء آراء الزائرین:

تمشیاً مع برنامج العام الماضی، تمّ توزیع ملزمة فی ثلاثة عشر صفحة تتضمّن (۲۱۵) سؤالًا للزائرین، مما یمکن لحصیلة الإجابات علیها التأثیر فی اتخاذ السبل المناسبة لمعالجة المشاکل فی السنوات القادمة.

۲۰- مشارکة نخبة من قرّاء القرآن الکریم فی الحج:

من جملة النشاطات الثقافیة لعام (۱۴۲۴) مشارکة نخبة من قرّاء العالم الإسلامی فی مراسم الحج، حیث اجریت مراسم تلاوة القرآن فی المسجد الحرام.

ومن تلک النشاطات أیضاً توزیع کراریس إرشادیة علی علماء الدین لغرض الإجابة عن شبهات الفرقة الوهابیة، وعرض تقریر عن کیفیة حج المواطن الإیرانی قیاساً بحج المواطن المسلم من

ص: ۹۶

سائر البلدان، وتشكيل الجلسات داخل البعثة للزائرين الإيرانيين، وغير ذلك.

۲۱- التغطية الإعلامية الشاملة لمراسلى الجمهورية الإسلامية و ...:

تعتبر التغطية الإعلامية القويّة والمؤثرة التابعة لمراسلى الجمهورية الإسلامية والإذاعة والتلفزيون من خصائص حج العام الماضى، حيث انعكست آثارها المعنوية فى أرجاء البلاد، وأنى لأتقدم بالشكر لما بذله جميع هؤلاء الأعزاء من جهود فى هذا المجال.

إن الرحلات الجيّدة والمشتملة على الطبقة المثقفة بحاجة ماسة إلى «نشرية الزائر».

لقد قمنا بتجهيز رحلة أساتذة الجامعات بالحاسوب والانترنت، لكننا نشعر بأنّه لابد من مزيد اهتمام بهذه الطبقة فى السنوات المقبلة، وأنّه لابد من تعميم الخدمات الالكترونية والأجهزة المتطورة إلى جميع الطبقات.

۲۲- النقل المباشر للزائرين إلى المدينة و ...:

استطاع المسؤولون التنفيذيون نقل (۴۶۴۳۲) زائراً بشكل مباشر إلى المدينة، ونقل (۴۷۹۱۸) زائراً- ممّن كان فى

ص: ۹۷

المدينة بعد الحج- إلى إيران.

هـذا وقد لعب ما يقرب من ۶۰٪ من منازل الزائرين الواقعة فی المنطقة المركزية والفنادق المحيطة بالمسـجد النبوی الشـريف دوراً فی تنشيط الحالة المعنوية لدی الزائرين.

۲۳- الطهی المركزی:

يعتبر الطبـخ المركزی للطعام للـذين نزلوا الفنادق المحيطة بالمسـجد النبوی الشـريف فی المنطقة المركزية، ومنح رخصة طهی الطعام داخل القوافل؛ خارج

ص: ۹۸

المنطقـة المرکزیـة، وأیضاً التطبیق المنتظم لبرنامـج الذبح، وذبح ۶۲٪ قربانـاً یوم عیدالأضـحی، و ۳۸٪ فی الیوم الحـادی عشـر من ذی الحجة، کلّ ذلک یعتبر من خصائص حج العام ۱۴۲۴ ه-. ق

۲۴- السلبیات والنواقص وبعض المشاکل:

واجهنا فی حج عام ۱۴۲۴ بعض النواقص فی الجانب الخـدمی، من قبیل الحمل والنقل داخل المدینـة، عدم کون بعض الأبنیة مناسـباً، وجود بعض النواقص فی قسم التموین، التأخیر للرحلات الجویة، وعدم توفّر الأمور الخدمیة المناسـبة للزائرین و ...، هذه وغیرها کانت من مشاکل الحج فی العام الماضی، والتی نأمل رفعها والحدّ من تکررها بوضع الخطط المناسبة.

میقات الحج: ذکرتم بعض المشاکل والنواقص، هل فکرتم فی إیجاد حلول مناسبة لذلک؟

ص: ۹۹

الشيخ الرى‌شهرى: كما ذكرنا لكم أنه على الرغم من النجاح الذى حققناه فى حج العام الماضى واجهنا بعض المشاكل والنواقص، وهى عبارة عن:

أولًا: ازدحام الحجاج فى بعض خطوط باصات الحمل والنقل داخل مكة، خصوصاً فى موقف نفق باب على، فقد كان ازدحام الحجاج شديداً جداً، والسبب فى ذلك عدم الانضباط، حيث كان بعض الزائرين من باقى الدول يرتقون هذه الباصات فيضاعفون من المشاكل، كان تردد وسائط النقل العامة فى منطقة المسجد الحرام يضاعف أيضاً من المشكلة، من اليوم الرابع وحتى اليوم الثامن من ذى‌الحجة، وذلك بسبب شدة ازدحام الحجاج.

هذه هى مشكلتنا فى كل عام، والسبب الرئيس فيها تزايد عدد الحجاج، وفقدان الإدارة الصحيحة للسير، وهى مشكلة لا علاقة لنا بها.

إنّ هناك مساعى وجهود حثيثة من قبل البعثة ومؤسسة الحج، الغرض منها التعرف على بعض المشاكل من أجل رفعها فى السنوات

ص: ۱۰۰

القادمهٔ، لكن مشكلهٔ الازدحام مشكلهٔ قائمهٔ لا يمكن حلّها حتى على مدى السنوات القادمهٔ.

ثانياً: كانت بعض منازل مكـهٔ تعانى من نواقص، لكننا قررنا بعـد دراسـهٔ الموضوع دفع مبالغ للزائرين المقيمين فيها تعويضاً لهم بذلك عن النقص الحاصل.

ثالثاً: الضـعف الذى كانت تعانى منه بعض فروع التموين الغذائى، فقد برزت مشكلهٔ فى الألبان والمشروبات الغازيهٔ مثلًا، لكنها سرعان ما ارتفعت بجهود بذلتها البعثهٔ ومعاونيهٔ التفتيش ومؤسسهٔ الحج والزيارهٔ.

رابعاً: التأخير الحاصل فى الخطوط الجويهٔ أو عدم تقديم الخدمات المناسبهٔ فى بعض الرحلات الجويهٔ، وقد تقدمنا إلى المسؤولين فى هذا المجال بجملهٔ ملاحظات.

بـالطبع، لا ـ تعـدّ هـذه المشاكل شـيئاً أمام الخـدمات الكثيرهٔ التى تقـدّم إلى الزائرين، لكن فى الوقت نفسه لابـدّ من معالجتها لتحاشـى ارتكابها فى السنوات المقبلهٔ.

ص: ۱۰۱

میقات الحج: یبدو أنّ معاملة الدولة السعودیة للإیرانیین بدأت تتحسن قیاساً بالحالة السابقة، وأنّ الخناق قد ضاق علی الحرکة الوهابیة، فما هو نظرکم فی ذلک؟

الشیخ الری‌شهری: کانت معاملة الدولة السعودیة فی حج العام الماضی ممتازة قیاساً بالسنوات الماضیة، فقد کان لهم تعامل طیب وحازم فی إقامة مراسم دعاء کمیل، علی العکس من الحرکة الوهابیة والسلفیین، حیث کانت معاملتهم قیاساً بالماضی أشد وأغلظ.

والسبب فی ذلک- حسب تقدیری- واضح، وهو أنّه کلّما استوثقت العلاقات بین الجمهوریة الإسلامیة الإیرانیة والدولة السعودیة أکثر، شعر الوهابیون بعزلة أکثر، حتی أنّ ذلک ینعکس سلباً علی تصرفاتهم، حیث تسعی الحرکة لابتزاز الإیرانیین والتعامل معهم بشدّة، ولعلّ ذلک یدعو الإیرانیین إلی المواجهة، ومن ثمّ یؤثر علی العلاقات بین إیران والدولة السعودیة.

ص: ۱۰۲

لـذا، فنحن نـدعو الزائرين الإيرانيين، خصوصاً المسؤولين في مؤسسة الحج والزيارة، إلى الحـذر وعـدم تقـديم الـذرائع للوهابيين في ارتكاب أي عمل يصبّ في صالحهم.

ميقات الحج: برزت عدة مشاكل في العمرة من السنة الماضية بسبب مشاركة بعض الشركات في تقديم الخدمات إلى المعتمرين، فما هي الإجراءات المتخذة في السنة الحالية لعدم تكرر مثل ذلك؟

الشيخ الرى‌شـهري: لم تتمكن بعض الشـركات التي تعمـل تحت رعايـة مؤسسة الحج والزيـارة من تقـديم الامور الخدميـة المطلوبة للزائرين، مما أدى إلى عـدم ارتياح جماعـة من المعتمرين، وذلك لارتفاع الأسـعار، وعـدم التغطيـة الكافيـة والمطلوبـة للزائرين، وهذا الأمر يعني أنّ رقابـة مؤسسة الحـج والبعثـة لو ارتفعت فـإنّ ذلك لا يؤدي إلى خفض الأسـعار فحسب بل سوف يزيـد من المشاكل، والسبب فيه واضح، وهو أن مؤسسة الحج لا تطمح إلى الكسب والربح، بل تسعى إلى أخذ الأسعار

ص: ۱۰۳

المناسبة لأداء العمرة، وتقدیم خدمات أفضل إلی الحجاج لکسب المزید من رضاهم.

إنّنی أقترح علی مؤسسة الحج تقدیم تقریر عن المشاکل والصعوبات التی کان یعانی منها المعتمرون الذین ذهبوا إلی العمرة علی نفقاتهم الخاصة- ولطالما کرر ذلک السید رئیس قنصلیة الجمهوریة الإسلامیة فی جدّة ومکاتب ممثلیة الحج والزیارة فی مکة والمدینة- لیتمّ نشرها فی مجلة «میقات الحج» لیطلع علیها عامة الناس.

کما أقترح ترتیب لقاءات خاصة مع الزائرین الذین عانوا من تلک المشاکل، لیکون ذلک رادعاً للذین یتخذون المواقف ضد مؤسسة الحج والزیارة.

ونحن بدورنا قدّمنا تقریراً فی جمیع ما ذکرناه آنفاً إلی السید القائد سماحة آیة الله الخامنئی، فأمر سماحته بأن یکون العمل فی کل ما یرتبط بامور العمرة مرکزیاً کما هو الحال فی الحج والزیارة، والتصدی القانونی لکل من یتخلّف ویعمل علی خلاف ذلک.

ص: ۱۰۴

يذكر أنّ مؤسسة الحج والزيارة قد تحمّلت الكثير من المشاكل عبر هذه القنوات، ولكنّها لا تزال صامدة لتتمكن من أداء وظائفها على أفضل وجه، ونحن نأمل عدم تكرر مشاكل العام الماضى، ونرجوا لمؤسسة الحج والزيارة تهيئة أجواء هادئة وجيدة للمعتمرين فى السنة القادمة.

ميقات الحج: أصدرت الدولة السعودية بياناً يسمح بالتشرّف بالحج كلّ خمس سنوات مرة واحدة، ما هو رأيكم فى ذلك، وما هى وصيتكم للناس؟

الشيخ الرى‌شهرى: لا نعلم إلى الآن أن قرار الدولة السعودية فى هذا الشأن هل هو قطعى أم لا؟ لكن لو نفّذت السلطات السعودية ذلك فهو فى رأينا عمل جيّد. لو يفسح الذين تشرّفوا بالذهاب إلى الحج المجال أمام المستطيعين- ممّن لم تسنح له الفرصة بسبب العدد المحدود- للتشرف بالحج، فانّ ذلك

ص: ۱۰۵

عمل مفید قطعاً، لیس علی مدی خمس سنوات بل إلی الأبد.

لقد سألت فی لقائی السید غلام الله وزیر الحج الجزائری، فقلت له: کیف تتعاملون مع هذه المشکلهٔ؟ فأجاب: لقد تمکّنا من إرسال ثلاثین ألف حاج من أصل مائهٔ وثلاثین ألف شخص، لذا نحن فی کل عام نرسل الحاج علی أساس القرعهٔ، والمشارکون فی القرعهٔ هم ممن لم یذهب إلی الحج قط، ولیس لمن ذهب مرهٔ واحدهٔ إلی الحج حق المشارکهٔ فی صنادیق الاقتراع، والأمر الملفت للنظر أنّ القرعهٔ لو لم تصب اسم الشخص المتقدم بالطلب فإنّه یمنح فی القرعهٔ الثانیهٔ سهمان، فإن لم تصب ففی القرعهٔ الثالثهٔ ثلاثهٔ أسهم، فإن لم تصب القرعهٔ اسمه أبداً فانه یذهب إلی الحج بلا قرعهٔ.

وباعتقادی، إن هذه السبل أقربها إلی العدل، وقد ورد فی بعض الأخبار أن أول عدل یقیمه الإمام المهدی بعد ظهوره فی المسجد الحرام أنّه لا یسمح بأداء الطواف

ص: ١٠۶

المستحب حتى يتمكن أهل الطواف الواجب من أداء طوافهم، فإنّه إذا منع من الطواف المستحب فإنّه سوف يمنع عن الحج المستحب بطريق أولى، إلّا أن تكون الإمكانات بنحو يتمكّن عامة الناس معها من اغتنام فرصة الحج، وعليه، فإذا كانت حصة الجمهورية الإسلامية (٩٠) ألف حاج، فلابد من تخصيصها بمن لم يؤدّ حجه الواجب، ولا شك أن الذين ذهبوا لأداء الحج الواجب بإمكانهم فسح المجال أمام الآخرين لأداء حجهم الواجب، ويأتوا بدل ذلك بالعمرة.

يذكر أن لدينا أعداداً كثيرة من المتقدمين بطلب الحج من دون أن نشترط عليهم شيئاً سابقاً، وقد لا نتمكن فى الوقت الحاضر من القيام بذلك، لكن يمكننا اتخاذ التدابير اللازمة بهذا الصدد فى المستقبل، وإن كان القرار النهائى فى هذا المجال بيد الدولة ومسؤولى الحج والزيارة، لكنه لو وضع فى المستقبل مثل هذا القانون فإن تنفيذه سوف يكون أمراً سهلًا.

ص: ۱۰۷

ميقات الحج: مات فى حج العام الماضى فى رمى الجمرات عدد من الزائرين غير الإيرانيين، ما هو تقويمكم لهذه الحادثة؟ وما هى الحلول المقترحة لذلك؟

الشيخ الرى‌شهرى: فيما يتعلق برمى الجمرات هناك مشكلتان أساسيتان:

الأولى: قلّة الإمكانات فى منى والجمرات، فعلى الرغم من الجهود المبذولة فى السنوات الأخيرة لم تلب الإمكانات الموجودة حاجة هذا الجمع الغفير.

الخطوة الأولى التى يجب اتباعها فى حل هذه المشكلة تكمن فى فصل طرق السيارات عن طرق المشاة، أو منع اقتراب السيارات فى أيام التشريق من الجمرات.

لو أمكنت الاستفادة من الإمكانات الموجودة فى العالم باتجاه فتح أنفاق تحت الأرض لما وجد هذا الزحام الذى لا يحتمل.

وأيضاً لو منع الزائرون من النوم فى الطرق، ومن الجلوس على طريق الجمرات لكانت المشكلة أقل مما هى عليه الآن

ص: ۱۰۸

قطعاً.

أمّا مشکلة التجمّع الشدید للزائرین فیمکن حلّه بإیجاد أبنیة وعمارات مرتفعة وذات طبقات متعددة، فما أفتی به بعض علماء السنة من عدم جواز بناء عمارات سکنیة فی منی کلام غیر صحیح، ولا یستند إلی دلیل تام.

نعم، تمّ بحث الجمرات أخیراً لکنه لم یتم الاتفاق علی عدد الطوابق فی البناء، ومن الطبیعی لو أنّ ذلک بلغ مرحلة التنفیذ لقلّل من المشکلة إلی حد ما.

وهناک اقتراحات اخری أیضاً مثل أن یکون الذهاب إلی الجمرات علی شکل جماعات کما فی ترتیب الخیام حسب المناطق، لکن ما لم یخضع ذلک للبحث والدراسة العلمیة والدقیقة من قبل المختصین لا یمکن للشخص أن یبدی رأیه النهائی فیه.

إن علی فقهاء السنة الإفتاء بسعة الوقت کما یقول به فقهاء الشیعة، بأن یسمحوا بالرمی من طلوع الشمس إلی الغروب لیتم تقسیم الزائرین علی طول النهار ویقل الازدحام.

ص: ۱۰۹

إن موت الكثير من الزائرين فی رمی الجمرات أمر لا يمكن تبريره والدفاع عنه، ولا بد من إيجاد حلّ ذلك.

ميقات الحج: تحاول قوات الشرطة السعودية استخدام مختلف الطرق والوسائل لغرض استقرار الحجاج فی المشعر حيث يؤدی ذلك إلی مشاكل كثيرة للحاج، هل لديكم حلول لذلك، و هل أن هذه المشاكل ترفع- عن طريق البعثة ومؤسسة الحج- إلی المسؤولين السعوديين؟

الشيخ الریشهری: فی رأيی يمكن حلّ هذه المشكلة إلی حد ما إذا كانت هناك إدارة صحيحة، وتمّ استخدام السبل المتطورة فی تنظيم حركة السيارات وكيفية توقفها.

من الطبيعی توقف عدد كبير من السيارات علی مشارف المشعر الحرام مما يسبب مشاكل فی السير، لكن من الممكن استخدام وسائل أخری للنقل مثل القطار داخل المدينة، فهل من ضرورة تدعو إلی الإتيان بهذا الكم الهائل من السيارات إلی محل أداء الشعائر لكی نصنع بأنفسنا

ص: ۱۱۰

هذه المشکلة فی السیر؟ إن معاجلة مثل هذه المشاکل لها علاقة بطریقة الإدارة.

بدورنا، نقوم فی کل سنة باستقصاء المشاکل وجمعها، ومن ثمّ إرسالها إلی وزارة الحج السعودیة، وقد کان ذلک مؤثراً أحیاناً، ومن المقرر فی هذه السنة استقصاء المشاکل وإرسالها إلی الوزارة المذکورة.

میقات الحج: ماهی الثغرات الثقافیة للحج والعمرة فی رأیکم؟

الشیخ الری‌شهری: بإعتقادی إن أهم ما تواجهه جمیع البلدان الإسلامیة فی الجانب الثقافی هو عدم الاطلاع والمعرفة الکافیة بما یرتبط بأسرار الحج وفلسفته، فإن الکثیر من المسلمین لا یعرفون ما هو الهدف من الذهاب إلی الحج، کما لا یعرفون الهدف من التلبیة والطواف و ...

وهذا بحاجة إلی إعلام قوی وإلی عزم وإرادة ثقافیة عالمیة جادة، ولا نری- وللأسف- لکلّ ذلک عیناً ولا أثراً

ص: ۱۱۱

بین هذه الدول، ذلک أن الکثیر من قادة العالم الإسلامی یری أن مصلحته الشخصیة هی بقاء الامة فی الجهل وعدم المعرفة، کما أنه یعلم أن الحج لو فسّر بالمعنی والمفهوم الحقیقی له لواجه بسببه المستکبرون الکثیر من المشاکل.

إذن لا بد فی الخطوة الأولی من تفهیم المجتمع المسلم فلسفة الحج، وفی الخطوات الاخری ترمیم الثقافة فی کافة المجالات، مثل ثقافة الصلاة أول الوقت، ثقافة الزیارة الصحیحة، ثقافة العشرة الصحیحة، ثقافة الاهتمام بصلاة الجماعة، الاهتمام بالقرآن و ... فإن هذه الامور لو لم تکن بالشکل الثقافی المطلوب، لکان الأمر علی ما نراه أحیاناً، فمثلًا نری البعض فی وقت صلاة الجماعة یجلس علی أعتاب المحلّات، أو لا یذهب إلی الصلاة، أو یدور فی الأزقة والطرقات بلا هدف، فالشخص الذی اعتاد فی إیران علی عدم الذهاب إلی صلاة الجماعة أو عدم الصلاة أول وقتها لا یمکن التأثیر فیه عبر محاضرة أو محاضرتین، کذلک العمل الثقافی لا بد فیه من تضافر جهود مؤسسات الدولة

ص: ۱۱۲

ومراكزها الثقافية كافّة.

وهناك مشكلة لا بد من حلّها عن طريق الحوزات العلمية، وهى اختلاف فتاوى مراجع التقليد، وذلك ليتمكن علماء الدين فى البعثة من الإجابة عن الأسئلة الشرعية للزائرين، ولكى لا تنقدح الشبهات- لا سمح الله- فى أذهان عامة الناس، خصوصاً الطبقة المثقفة.

وهناك أيضاً مشكلة ثقافية أساسية شغلت بعض الزائرين كثيراً وهى قضية شراء الهدايا والحاجيات، فإنّ ذلك وإن كان أمراً مستحباً فى الشرع، إلّا أنّ الإفراط فيه غير صحيح، إذ قد يقترن أحياناً وقت هذه المشكلة مع الصلاة أول الوقت، وقد رأينا أن ذلك يشوّه صورة الشيعة وإيران الإسلامية.

بالطبع، هؤلاء الأفراد ليسوا بالكثيرين، إلّا أنّهم على قلّتهم بإمكانهم القدح بشخصية مجموع الحجاج الإيرانيين.

ميقات الحج: للحج ثقافة عظيمة وشاملة، إلّا أنّها لم تستنفذ تماماً، ماهى

ص: ۱۱۳

السبل المناسبة المقترحة فی سبیل توسعة رقعة الإستفادة من ثقافة الحج وتأثیر هذه الفریضة فی نفوس الحجاج؟

الشیخ الری‌شهری: من أجل اغتنام الفرصة والاستفادة التامة من ثقافة الحج والتی هی فی الحقیقة واسعة ومعطاء لابد أولًا من العزم والإرادة الجادة لجمیع البلدان الإسلامیة فی هذا المجال، لأننا لو وضعنا لأنفسنا برنامجاً معیّناً فلن یکون الحال أفضل مما علیه الآن، بل لا بد من المشارکة الفاعلة لجمیع البلدان فی ذلک.

أما علی المستوی الداخلی للبلاد فإن بعثة السید القائد بما فیها من إمکانات ومکانة و کوادر فاعلة لا تستطیع الاستفادة من ثقافة الحج أکثر من ذلک، وإن کان ما قمنا به إلی یومنا هذا بالمستوی المطلوب، والحمد لله.

عندما یتعذّر علی البعثة استخدام موظفین لها فإن من الطبیعی أن تغدو عاجزة عن الاستفادة المطلوبة من الحج وکما ترید.

ص: ۱۱۴

بل حتی لو توافرت للبعثة الإمکانات اللازمة فلا هی ولا مؤسسة الحج ستکون قادرة علی الاستفادة التامة من ثقافة الحج، لما یتطلبه ذلک من جهود مکثفة للمسؤولین الثقافیین لتتجسّد نتیجة أعمالهم وتظهر فی الحج.

ثم إن هناک مسألةً لا بد من الإشارة إلیها، وهی المبالغة أحیاناً فی الإعلان عن الأرقام، إذ البعثة- بسبب الضعف الموجود فی قسم العلاقات العامة- عاجزة عن إعلان ما قامت به من نشاطات وبیانه للُامة، وإنّی اعترف بهذا الضعف، حتی أن البعض قد یتقدم لنا ببعض المقترحات وعندما نقول له: إننا فعلنا ذلک أو قمنا بطبع الکتاب الفلانی یتعجب، ویقول: إنه لم یکن یعلم بذلک.

ص: ۱۱۵

میقات الحج: مضی علی افتتاح طریق العتبات المقدسة مدة وقد تشرّف الکثیر بزیارتها، ماهو السبب فی عدم أخذ مؤسسة الحج والزیارة بزمام ذلک؟

الشیخ الری‌شهری: لهذه القضیة أسباب عدیدة، نذکر منها:

السبب الأول: غموض الوضع السیاسی والأمنی فی العراق، وما دام لم یحن الوقت لاستلام الحکومة الشرعیة ولم تتسلم مهامها فالوضع سوف لا یکون أفضل مما علیه الآن.

السبب الثانی: التصرف اللّامسؤول لبعض المؤسسات الداخلیة.

لقد اتضح تدریجیاً وبسبب الأحداث والمشاکل التی واجهها زائرو العتبات المقدسة أنه لو لم تکن الرحلات تحت رعایة وإشراف مؤسسة الحج والزیارة، فإنه سوف یهدد الزائرین الکثیر من المشاکل

ص: ۱۱۶

الثقافية والسياسية والأمنية.

ميقات الحج: هناك من يقول بأن زيارة العتبات المقدسة في العراق يجب أن تكون كزيارة الإمام الرضا (ع) في مشهد، هل هذا الكلام صحيح، علماً بأن العراق لا يملك الإمكانات اللازمة، كما أنه فاقد للأمن وغيره من الأمور؟

الشيخ الرى‌شهرى: لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً قطعاً؛ لأن زيارة عتبات العراق تختلف عن زيارة مشهد تماماً، فنحن بلدان مستقلان لهما نحوان من السياسة، سواء في الحاضر أو المستقبل، والوضع في كلٍّ منهما تابع لقوانين ذلك البلد. صحيح أن في العراق ضرائح ستة من الأئمة المعصومين وأن في النجف وكربلاء وغيرهما الكثير من الشيعة، إلّا أن لكل بلد- في الوقت نفسه- ضوابطه الخاصة به.

من جهة أخرى، فإن الوضع الاقتصادي في العراق لا يسمح بتقديم الخدمات المناسبة للحشد الكبير من الزائرين الإيرانيين، فنحن في مكة والمدينة- مع ما فيهما من

ص: ۱۱۷

إمكانات كثيرة- عاجزون عن إرسال الحجاج بـدون ضوابط وبلا حـدود، فكيف يمكن إرسالهم هكـذا إلى العراق وهو فاقـد للصـحة والأمن وغيرهما من الإمكانات؟!

إذن، فزيارة العتبات فى العراق تختلف عن الذهاب إلى مشهد، إذ لا بد من ملاحظة الوضع الاقتصادى والثقافى والسياسى للعراق بدقة وأخذ ذلك بنظر الاعتبار.

ميقات الحج: تعتبر حالة الرفاه فى الزيارة إحدى أهم آفات سفر الحج والزيارة، ما هى نشاطات مؤسسة الحج والزيارة فى هذا الصدد؟

الشيخ الرى‌شـهرى: توفير الرفاه والراحة فى سفر الحج أمر جيّد وحسن، ليتمكّن الزائر من أداء أعمال الزيارة ومناسك الحج بفراغ بال تام، وقـد ورد فى الروايات أن على الـذى يريـد السـفر إلى الحـج أن يحمل معه طعاماً جيداً وغيره من الإمكانات، و أن يهتم بأصدقائه ورفقائه فى السفر.

ص: ۱۱۸

إن الشـیء القبیـح فی هـذا السـفر هو الإسـراف، ولاـ یمکن التوسل بالقوة من أجل إیجاد حالـة الاعتـدال فیه، بل لا بـد من أخـذ رأی المختصین فی ذلک من أجل الخروج بأفضل طریقة للحدّ من الإفراط والإسراف.

میقات الحـج: یظهر أن أبناء شـعبنا یمیلون إلی السّوق وشـراء الهـدایا أکثر من الحد المتعارف، ما هو رأیکم فی ذلک؟ وما هی سـبل الحل المقترحة فی ذلک لغرض إیجاد حالة الاعتدال؟

الشـیخ الریشـهری: رأینا فی مسألة شـراء الهدایا واضح، فإننا نعتقد أن وقت الزائر یجب اغتنامه والاستفادة منه فی توفیر الجو المعنوی والروحی، و أن الاهتمام البالغ حـد الإفراط فی شـراء الهـدایا وإتلاف الوقت فی الشوارع والطرقات والأسواق آفة کبیرة فی هذا السـفر الإلهی.

فمن أجل تحقیق هذا الغرض اتخذنا بعض المقررات فی ذلک، فأوجدنا معارض

ص: ۱۱۹

للشراء، لكنها فشلت بسبب عدم المنهجية الصحيحة فى العمل، ونحن الآن- وتحقيقاً لمطالب السيد القائد- بصدد البحث عن السبل المناسبة للوصول بالمشاكل المترتبة على الشراء إلى الحد الأدنى.

علماً بأن البعثة ومؤسسة الحج لوحدهما لا يؤثران كثيراً، كما أن استعمال القوة فى هذا المجال ليس مدعوماً بالقانون، ولا نرى من المصلحة القيام بذلك، لكننا نعتقد أن للإعلام واستخدام الطرق الثقافية الصحيحة، التأثير المطلوب فى ذلك.

ميقات الحج: نشكركم على إتاحة الفرصة لمجلة ميقات الحج.

ص: ۱۲۰

ما الحج، ومن هو الحاج؟

الأسس النفسية والتربوية

الدكتور غلام على افروز

عندَ الغور فى فلسفة وجود القيم الدينية وأسسها النظرية، وكذلك فى الواجبات والمحرّمات الشرعية، نتوصلُ إلى الحقيقة التالية، وهى أن خالق عالم الوجود و منظّمه عندما خلق الإنسان الذى هو أشرفُ المخلوقات وخليفة الله على الأرض، سَخَّرَ لَهُ كذلك جميع الإمكانات وهيأ له أساليب تعاليهِ ورشدهِ وفلاحهِ فى مُعترك الحياة الدُّنيا، بما يتناسبُ مع الفطرة والطبيعة البشرية.

بعبارة أخرى، فى الأيديولوجية الإسلامية والثقافة القرآنية، نرى أن جميع الواجبات والمحرّمات الدينية مبنيّةٌ

ص: ۱۲۱

على أساس الفطرة، والمنطق، والعقل السليم للإنسان، هذا الإنسان الذى يملك مَلكة التعقل وقدرة التمييز والاختيار.

وفى نظرة عامة، نستنتج أن جميع الواجبات والمستحبات الدينية، وكذلك جميع المحرّمات والمكروهات مبتنِيةٌ على أساس نظام منطقى وقيمى واضح، بحيث مُنِعَ وحُرِّم كلُ ما هو مُضرٌ لِصحة وسلامة الإنسان وكلُ ما هو مانع لرُشدهِ الفكرى والنفسى والاجتماعى، سواءٌ بالفعلِ أو بالقوة، على المدى القريب أو البعيد، بصورة علانية أو سرّية، فردية أو جماعية ... وعلى العكس من ذلك أوجَبَ على كل إنسان بالغ وعاقل كل ما يؤدى إلى تعاليهِ و نموّهِ الجسدى والعقلى والروحى والأخلاقى والاجتماعى، والفرائض الدينية كذلك فُرِضت بطريقة بحيث إن كل انسان يستطيعُ أن ينال ما يطلبهُ من الكمال والفلاح والتوفيق على قدرِ استطاعتِهِ.

مثلًا عند التأمل العميق فى الأصول العامة والمعايير الحاكمة على بعض الأمور التى اعتبرت من المحرّمات، مثل تعاطى

ص: ۱۲۲

المشروبات الكحولية ولحم الخنزير والمواد المخدّرة، وكذلك الانحرافات الأخلاقية والسلوكية، مثل الكذب، والغيبة، والتهمة، والسرقة، والتطفيف، والخيانة، والظلم ... وأمثالها، نراها هى الأمور بعينها التى تؤثرُ على صحة الإنسان وسلامته، وتُعيقُ تكاملهُ العقلى والروحى (۱).

من الناحية الأخرى، نجدُ أن جميع الواجبات والتوصيات الإسلامية أرضية لتكامل الإنسان فى حياتِ الفردية والعائلية والاجتماعية، والعملُ بها يضمنُ للإنسان روحاً سالمة وشخصيةً متكاملة، وكذلك مجتمعاً سالماً ومتطوراً.

ومن جملة هذهِ الواجبات والتوصيات: الصدق، وقول الحق، والعدالة، ومُحاربة

۱- تشيرُ نتائج الدراسات التى اجريت مؤخراً فى جامعة لندن بأن تعاطى الكحول والمخدرات حتى ولو بمقدار ضئيل، علاوةً على آثاره المخرّبة والمدمّرة على الأسرة والمجتمع، يؤدى كذلك إلى انقباض الخلايا الدماغية للإنسان، وكذلك لحم الخنزير فإنه يحوى هورمونات تفضى إلى اختلال الحالات الروحية للأفراد، و تُضاعفُ لديهم حالات التوتر والنزاع والمشاكسة والسلوك اللامتعادل.

ص: ١٢٣

الظلم، ونُصرة المظلومين، والعفة والطهارة، والابتعاد عن المضرات، وتآلف القلوب والسعى لإيجاد الصُلح والوئام، وأداء الخُمس والزكاة لغرض تأمين احتياجات المعوزين، والإحساس بالمسؤولية، ومتابعة أمور المحرومين والمستضعفين، واحترام الوالدين وتكريم الأبناء، وطلب العلم ومكافحة الجهل والأمية، والتعاون وإبداء المُساعدة ... هذهِ الواجبات يعملُ بها كلُ صاحب دراية وفكر يؤمن بضرورة هذهِ الامور لحياتِهِ الفردية والاجتماعية.

عن الرسول الأكرم:

«مَن أصبَحَ ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»،

وفى حديث آخر: «الدين هو العقل والعقل هو الدين».

فالعاقل هو الشخص الذى يبنى حياتِهِ الفردية و الاجتماعية على أساس المنطق، والحكمة والتطور والتعالى ... لربما يكونُ الإنسان صاحب ذكاء مُفرط ولكنّه يتصرفُ فى أغلب الأحيان تصرفاً غير منطقى، مثل التدخين لدى المتخصصين فى مجال الطب، فهم على الرغم من اطلاعهم على مضاره،

ص: ۱۲۴

لكنهم لا يأبهون بذلك.

إنّ الذكاء وسيلةٌ وأداة، والعقل يحُسّنُ الاستفادةِ من هذا الذكاء، فالإنسان الذى لا يعملُ بما يعتقدهُ ويؤمنُ بهِ لا يُعتبرُ إنساناً عاقلًا.

جاء فى كتاب الله الكريم:

يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (۱)

. وفى آية اخرى: أم تقولون على الله ما لا تعلمون (۲).

ومن الواضح جداً أن أسمى وأجمل تعبير

۱- الصف: ۲.

۲- البقرة: ۸۰.

ص: ۱۲۵

لهذهِ القيم الإلهية المتعالية يتجسد و يتبلور فى سلوك الموحّدين الأحرار الذين هم على اتصال دائم بخالقهم عن طريق إقامة الصلاة، فعن الرسول الأكرم: «مَن يُريدُ أن يتكلم مع الله فليُصل، و مَن يُريدُ الله أن يتكلمَ معهُ فليتلو القرآن».

الصلاة هى الجواب الأمثل للتعبير عن الشُكر والتقدير للخالق المنّان لأقصى ما يبغيهِ البشر ويسعى للوصول إليه، ألا وهو الازدهار والوصول إلى درجة الكمال.

الصلاة مصفاة الوجود، وتناغم الخالق والمخلوق، والجواب الدائم على الاحتياجات الإنسان الروحية والفطرية، منهجٌ غير مُقيّد بعاملى التاريخ والجغرافية، وفرصةٌ مُتاحة لأى إنسان حر ومُفكر وشكور لكى يقف عند اللزوم وفى أوقات معلومة على منصة المعراج، ويتغنى بنشيد الحرية، ويبوح بمكنونات قلبهِ عن طريق الشكر للخالق الرحمن الرحيم.

أما الصوم، فهو منهجٌ تربوى آخر، يُهيئُ الأرضية للنمو الحيوى والنفسى

ص: ۱۲۶

والاجتماعی المطلوب، وواجبٌ علی کل إنسان صالح وسالم وفی أیة نقطة فی العالم أن یقف فی صفوف المسلمین فی شهر رمضان المُبارک ویُشارکهم فی أداء هذا المنهج العام الذی هو مُعسکر تهذیب النفس، وتکوین الشخصیة، وتحطیم القیود والعادات الیومیة والنفسیة والاجتماعیة، وتقویة الإرادة، والاتکال علی الذات، والسعی للوصول إلی قمة الفلاح.

إنّ المعنی الدقیق للتربیة یبدأ من تحطیم العادات، وبتعبیر آخر، حتی العادات الحسنة لیست بالحسنة، الصلاة أیضاً یجبُ أن لا تؤدی علی أساس العادة والتکرار، بل یفترض أن یکون کل عمل وسلوک مقروناً بالوعی والنیة والإرادة.

الصوم منهجٌ یهدفُ إلی ازدهار الفرد وتحوّله، وحرکة مُستهدفة ومؤثرة فی طریق القضاء علی الفقر، وتحقیق العدل، وسلامة المجتمع وتعالیهِ.

لا شک أن عملیة جمع نفقات الزکاة والفطر وتوزیعها العادل بین المحتاجین فی أی مجتمع من المجتمعات الإسلامیة، هی خطوة

ص: ۱۲۷

مؤثرة وإيجابية فى طريق مكافحة الفقر وضـمان حاجات المسلمين الغذائية لفترة زمنية معينة، ومن الناحية الأخرى تبيّنُ التقارير السنوية التى يقدمها مسؤولو القضاء والشرطة بأن مُعدّل الجرائم والمخالفات الأخلاقية تقلّ عادةً فى شهر رمضان بشكل جدير بالملاحظة.

وأخيراً، الصوم هـذهِ الفريضـة التربويـة مثلُهـا مثلُ الطبيعـة مُعرّضـة بعـد عام من ممارسـتها وتجربتها إلى التغيير والتحول وإعطاء الثمار، بالضـبط كمزارع مُثابر، يحرثُ الأرض فى كل عام قبل نثر البـذور الجديـدة كى يتخلص من الأعشاب التالفـة والمخرّبة للزروع، وبهذا تسـتطيع البذور الجديدة أن تنمو فى أرض مناسـبة، شـهر رمضان المبارك كذلك يخلقُ الأرضية المناسبة الخالية من الآفات المحتملة التى تمنعُ النمو والرُشد المطلوب للإنسان.

و من هذا المنظار، الصوم حاجة طبيعية لتطهير الجسد والروح، وعاملٌ مساعدٌ لنمو الإنسان وتعاليهِ.

أما الحج، هذا المنهج التربوى التهذيبى، الذى نجده- لدى مقارنتِهِ مع

ص: ۱۲۸

المناهـج التربويـة الأخرى مثل الصـلاة والصوم- مُقيّـداً عادةً بعاملى الزمان والمكان، ولهذا فهو مُتفقٌ معالصوم والصـلاة فى إنجازه فى زمـان معين، ولكنه يختلفُ عنهما فى أن مناسـكهِ لا يمكنُ أداؤها فى أى مكان نختارهُ، بل تؤدى دائماً فى منطقـة خاصـة، وفى أرض مقدّسة، وفى موعد واحد، وفى محيط آمن.

الحج تطهير النفوس فى بحر الوجود، ومجابهة الشرك، والدعوة للتوحيد، وكذلك تصفية الوجود، وتطهير الجسد والروح بماء الرحمة الإلهية.

الحج هو التخلص من القيود والتعلقات والأنانيّات، وتجربة الحياة فى ظل التوحيد.

الحج أمر واجب- بالدرجة الأولى- على الأشخاص المستطيعين، بينما الصلاة والصوم، أمران واجبان على كل المؤمنين بالله والسالكين طريق الحق.

جاء فى الكتاب الكريم: لا يكلّف الله نفساً إلا وُسعها (۱)، فبحسب النظام الإلهى،

۱- البقرة: ۲۸۶.

ص: ۱۲۹

على كـل من باسـتطاعتهِ حضور مراسم الحـج العظيمـة وأداء مناسـكهِ وتـأمين نفقـاتهِ، زيارة بيت الله الآمن، والهجرة من النفس الأمّارة والالتحاق بالخالق المنّان.

وفى الواقع، إن الـذين يتمتعـون بإمكانـات ماليـة واجتماعيـة أكـثر فى حيـاتهم، معرّضـون أكـثر مـن غيرهـم للانحرافـات الاجتمـاعية والأخلاقية، لهذا إن لم يكن الثراء مقروناً بالتزكية وتهذيب النفس فإنّ بإمكانه أن يكون عاملًا مساعداً على التمرّد والطغيان.

إنّ على الإنسان الثرى تكاليف أكثر من غيره، ولا شك أن الشخص الذى يملك نصيباً أوفر من النِعم الإلهية ويتمتع بقدرة بدنية وفكر خلّاق وإمكانـات إقتصاديـة عاليـة، يجبُ أن يكون لـديهِ إحساس بالمسؤوليـة أكثر من غيره، وأن يسـعى دائماً لأداء رسالتهِ الشخصـية والاجتماعية عن طريق تهذيب النفس، وصفاء القلب، واكتساب توفيقات وافرة.

لذا كان الحج واجباً على كل إنسان متمكن، لئلا تكون هذهِ الاستطاعة وهذا

ص: ۱۳۰

التمكن والثراء والمنزلة الاجتماعية سبباً للتباهی والتفاخر والتسلط والتمرّد والطغيان.

الحج منهج شامل للتخلص من جميع الآفات المتعلقة بشخصية الإنسان، وتحصين النفس من وساوس الشيطان، فلو تأملنا فی سير مناسك الحج وأعماله وأحكامِه من البداية حتى النهاية، لاستطعنا أن نستنتج بأن الحج هو تصفية النفس من جميع الآفات الروحية والانحرافات الاجتماعية، وهو صياغةٌ للشخصية التی يمكنُ الاعتماد عليها، مصونةً من الفساد، هادئةً ومتواضعة، تتحكمُ بشهواتها النفسانية والمؤثرات المحيطية، متوكلةً على الله، ومُبتعدة عن الطمع والتباهی والتسلّط، وخالصة فی عبادتها لله عزّ وجلّ.

كل من يتأمل ويفكر فی هذا السفر الإلهی يتولدُ لديه إحساس بأنه يُريدُ أن ينتقل إلى عالم آخر، ولهذا عليهِ التخلّص والتحرّر من القيود الدنيوية، وكذلك من التشويشات والاضطرابات النفسية، من القلق ومن تعلقات الدنيا واضطراباتها، وكذلك الاضطرابات الناجمة عن العلاقات

ص: ۱۳۱

الاجتماعية، والتعامل بين الأفراد، لكى يبلغ أرض التوحيد بقلب آمن ومطمئن، لذا عليهِ أن يطلب إبراء ذمتهِ من أهل بيته وأقاربهِ ومعارفِهِ وجيرانِهِ وزملائِهِ وغيرهم، ويطلبُ المعذرة ممن أساءَ لهم يوماً ما أو اغتابهم، و بهذا يكون قد أزالَ غبار الحقد والضغينة.

علاوةً على هذا، يجبُ على كل شخص عازم على الحج أن يسدّد جميع ديونه الشرعية والقانونية، ويرسم لنفسهِ صورةً واضحةً عن وضعه المالى وتسوية حساباتهِ وتعهداتهِ الأخلاقية والاجتماعية، ويقدمها لعائلته أو لوصيّه، لأن سفر الحج لا يكونُ مقبولًا إذا لم يدرس الحاج الماضى والحاضر، وإذا كان غافلًا عن الحلالِ والحرام.

كلمة الحاج ليست صفةً يَتحلى بها بسهولة أى مُسافر لبيت الله، وإنّما تتطلب أن يتحلّى هذا اللقب بجميع الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية، ويتنزّه عن جميع الرذائل الأخلاقية، ويتحرّر من الأهواء النفسية.

وأنت أيّها الإنسان المسلم إذا أردت

ص: ۱۳۲

أن تنال لقب الحاج، هـذا المقام الشامخ، يجبُ أن تتحمّل المشـقّات، وأن تخرج من صـفة الذات، وتتوحّد وتخلص لله الواحد الأحد، وأن تصـفّى قلبك من الشوائب قُربةً إلى الله، وتفرّغه من كل ما هو باطلٌ وتستبدلهُ ببذور حب الله عزّ وجلّ، وتُطهّر جسدك وروحك بماء الرحمة الإلهية، وتبدّل لباسك المميز (الذى يميّزك عن غيرك) بلباس الإحرام الأبيض اللون الذى لا يميّز شخصاً عن آخر.

إن جانباً من الهويـة الفردية للإنسان يتعيّن من خلال الملابس، فعندما يلبسُ فريقٌ من الناس اللباس الموحّد مثل مرضـى المستشـفيات، الجنود، الحجـاج المكفنين بلباس الإحرام، عنـد ذاك تنهـدمُ الفوارق وتزولُ، ولهـذا السـبب نجـدُ أن البعض من الأثرياء الراقـدين فى المستشفيات يفضّلون أن يلبسوا ملابسهم الشخصية فى المستشفى حتى يتميزوا عن غيرهم.

يجب أن يكون الحاج مقاوماً للنزعات والميول النفسية، ولديهِ إيمان وعزمٌ وتوكل راسخ، و نيّة خالصة، ودوافع

ص: ۱۳۳

مقدّسة، ولا يغفل لحظةً عن السعى فى مجالات الصدق والصفاء والمروءة والإيثار.

جاء فى كتاب الله الكريم: وأن ليس للإنسان إلى ما سعى (۱)، ومن آياته أيضاً: بَل الإنسان على نفسه بصيرة (۲).

وجميع علماء النفس والأطباء النفسانيين يدركون هذهِ الحقيقة، وهى أن أهم الآفات الأخلاقية والانحرافات السلوكية على مدى الأزمنة وفى كل مكان فى العالم، سببه العجز عن التغلّب على الأهواء والميول النفسية.

الخـالق المنّـان الـذى خلق الإنسان على شاكلته، عليمٌ بجميع القوانين التى تحكم النفوس والخصوصـيات والحاجات الفطريـة للإنسان، وهو يريد أن يبتلى الإنسان المتمكّن ويمتحنه.

بصورة عامة، على كل من يُريد أن يصبحَ حاجّاً أن يعمل بالنصائح التالية:

۱- تجنّب التكبّر والتبرّج: فى حال الإحرام لا يجوز النظر فى المرآة أو

۱- النجم: ۳۹.

۲- القيامة: ۱۴.

ص: ۱۳۴

التعطّر أو لبس الخواتم.

۲- الابتعاد عن الكسل و عدم الاهتمام بالغير: لا يجوز وضع شيء على الرأس، وتغطيتهِ وأنت في حال الإحرام.

۳- اجتناب إيذاء النفس وإيذاء الآخرين: قتل الحشرات، وإراقة أي دم حرام.

۴- التحرّر من الأفكار العدوانية والمخرّبة والمشاكسة: لا تجوز المجادلة، وحمل السلاح بكل أنواعهِ، وكذلك قلع الأشجار، وقتل الحيوانات.

۵- الابتعاد عن أنواع المباشرة والأهواء الجنسية: لا يجوز ممارسة الأعمال الجنسية.

۶- الابتعاد عن التفاخر والمباهاة والتعالي.

۷- الاحتراز عن البذاءات والإهانات والإساءة للآخرين.

لأن بروز هذه الصفات- سواء في الحياة الفردية أو الاجتماعية- من الآفات الأساسية المعيقة لتطوّر الإنسان والمضرة بشخصيته، والحاج هو من يستطيع أن يجتاز باقتدار تلك العقبات، و يصل إلى أسمى

ص: ۱۳۵

المراحل، ألا وهى مرحلة التضحية بأعزّ ما لديهِ.

التضحية مرحلةٌ شامخة من مراحل الحج العظيمة، والآن وأنت ترغب فى أن تكون حاجّاً وتنال مقام نبى الله إبراهيم (ع)، عليك أن تتّحد فى صف المنادين الحقيقيين لعبارة: «لا- إله إلا- الله»، و أن تتفوّه من سويداء قلبك بكلمة: لبيك، يجبُ عليك أن تُضحى بإسماعيلك كما ضحى به إبراهيم (ع)، وبهذا تكون قد أفلحتَ فى تصفية النفس، والغلبة على الأهواء والانفعالات النفسية، وصولًا إلى صقل الجسد والروح، والخلوص والتوحيد.

أعزّ ما كان يمتلكهُ إبراهيم (ع) بعد عُمر من الانتظار وقرن من الشقاء وتحمل الصعاب، هو ولد عزيز، وشاب جميل الطلعةِ والسيرة، وفى لحظة اختبار صعبة اقتضى الأمر أن يجتث صِلاتهِ و جذورهِ بأعزّ ما يملك، حيث أتى النداء يقول: يا إبراهيم لقد انتصرت، فضحِّ بقربان بدلًا عن إسماعيل.

ضع فى طَبَق الإخلاص كل ما لديك: رصيدك، أولادك، زوجك، مقامك، ماء وجهك، شُغلك،

ص: ۱۳۶

شُهرتک، أطماعک، جَشعک ... والآن وأنت تُريدُ أن تصبح حاجاً وتصل إلى أعزّ منزلة بين المسلمين وتنال العزّة الإسلامية، فكّر بإسماعيل خالصاً ومخلصاً فتأمل.

نعم، ضحِّ بإسماعيلك فی مسلخ العشق والتضحية، وعُد إلى بلدك وأهلك منصوراً كالمصطفين من عباد الله، بقلب مطمئن وآمن، والآن قد أصبحت ذا سلوك كأنك ولِدت مرةً أخرى، يخفقُ قلبك من أجل الله فقط لا غير، لا تقول غير الحق، ولا تبحث عن غير الحق، ولا تخطو خطوةً فی غير طريق الحق، يرغبُ كل الناس رجالًا ونساءاً، صغاراً وكباراً أن يشاهدوا فيك القيم الإسلامية والقدوة المتعالية للشخصية الإسلامية، فی سلوكك الفردی والاجتماعی.

الحاج هو مظهرُ المقاومة أمام طُغيان النفس، وهو تفسيرٌ للصدق والصواب، و تجسيدٌ للمغفرة والتضحية، وتبلورٌ للمحبة والمنطق، ورمزٌ للصفاء والمروءة، وكما جاء فی القرآن الكريم: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (۱).

۱- الفرقان: ۶۳.

ص: ۱۳۷

خزيمة بن ثابت الأنصارى، ذو الشهادتين

حسن الحاج

قيض الله سبحانه وتعالى نفوساً طيبة من أصحاب رسول الله، ومن رواد مدرسته الربانية المباركة، وقد ملئت قلوبهم إيماناً وصلابة ووعياً وبصيرة ثاقبة، وهيأها لكى تجنى ثمار إيمانها الواعى وسعيها الحثيث، وكدحها الدؤوب، وجهادها المتواصل، وتسابقها فى الخيرات، و لصدقها وإخلاصها فى جميع ذلك، فقد حباها نبى الرحمة صلوات الله وسلامه عليه بدوره أوسمة رفيعة، ومناقب جليلة، وشمائل عالية، وصفات جميلة، صارت من أجلّ الألقاب التى يحبونها، وراحت تتزين

ص: ۱۳۸

بها أکتاف أصحابها بحق، ویتفاخرون بها دون تعال وتکبر، وحفظتها لهم الأجیال والتاریخ ومصادره ...، فیما اشرأبّت إلیها أعناق آخرین دون جدوی.

فبعضهم حظی بها بعد استشهاده أو وفاته:

فحمزهٔ بن عبد المطلب کان یلقب أسد الله فی حیاته وسید الشهداء بعد وفاته.

وجعفر بن أبی طالب وصف بأنه جعفر الطیار ذو الجناحین یطیر بهما فی الجنهٔ حیث یشاء.

وحنظلهٔ بن أبی عامر الراهب غسیل الملائکهٔ.

وسعد بن معاذ اهتز لموته عرش الرحمن ...

وبعض حظی بها فی حیاته:

خزیمهٔ بن ثابت هذا الصحابی الکبیر الذی نحن بذکره، کان واحداً من القلهٔ الذین منحتهم السماء وساماً رائعاً ألبسه رسول الرحمهٔ له (خزیمهٔ ذو الشهادتین) أی عدت شهادته بشهادهٔ رجلین، لصدقه وعدله ونفاذ بصیرته ووعیه وعمق إیمانه، فظل محتفظاً به حریصاً

ص: ۱۳۹

عليه، لم يفرط فيه طيلة حياته الإيمانية والجهادية، حتى اقترن بوسام آخر أجل منه وأعظم، إنه وسام الشـهادة المباركة، ليختم به عمره، ويختصـر به الطريق إلى حيث الفردوس الأعلى فی جنة عرضـها السماوات والأرض ... مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (۱).

وهكذا ظل وما زال هذا الأنصاری الأوسی الخطمی المدنی يعرف بذی الشهادتين، وإذا ما ذكر اسمه عقّب بعده

۱- سورة النساء: ۶۹.

ص: ۱۴۰

مباشرهٔ بهذا الوسام، الذی لم یناقش أو یشکک فی نسبته إلیه أحد أبداً، بل ولم یذکر اسمه إلا وهو مقترن بهذا اللقب إلا قلیلًا.

نسبه:

هو خزیمهٔ بن ثابت بن الفاکه بن ثعلبهٔ بن ساعدهٔ بن عامر بن غیان- ویقال: عنان- بن عامر بن خطمهٔ، وقیل: حنظلهٔ، وقد صوّبوا الأول. واسمه عبد الله بن جشم بن مالک بن أوس بن حارثهٔ بن ثعلبهٔ بن عمرو ابن عامر.

هذا نسبه من أبیه.

وأما من أمه، فهی کبشهٔ بنت أوس بن عدی بن أمیهٔ بن عامر بن ثعلبهٔ.

وفی نسبه اختلاف، وقیل: حنظلهٔ بدل خطمهٔ، والصواب خطمهٔ بغیر شک .. وهو عامر بن خطمهٔ الوارد فی نسبه من أبیه، وهو الذی ورد فی طبقات ابن سعد (۱) فی ترجمهٔ کبشهٔ. وربما یکون المقصود بثعلبهٔ هذا هو جده ثعلبهٔ بن عمرو بن عامر، وقد اکتفی بذکره اختصاراً.

۱- طبقات ابن سعد ۳۵۴: ۸.

ص: ۱۴۱

وختاماً، فخزيمة بن ثابت هذا هو ذو الشهادتين، وهو: أبوعمارة الأنصارى الأوسى الخطمى المدنى، من أشراف قبيلة الأوس. أحسن الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم. وإن لم يتيسر لى معرفة أول إسلامه، فابن هشام فى السيرة النبوية لم يورد اسمه فى الذين بايعوا رسول الله فى العقبتين الأولى والثانية ولا حتى الأخيرة، إلا أنه وبعد أن شرح الله سبحانه وتعالى صدره للإيمان عاش الإيمان بروحه وشعوره ووجدانه، وأحب الله تعالى ورسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم بصدق وإخلاص واستقامة، لا ـ يشوبها شك ولا يخالطها تردد، هدفه الأول والأخير رضا الله تعالى وجنة عرضها السماوات والأرض، فكان بحق من مصاديق هذه الآية المباركة: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى

ص: ۱۴۲

من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم (۱)«۱».

وقد راح هو وصاحبه عمير بن عدى يكسران أصنام بنى خطمة قومهم بلا خوف من عقاب (۲).

شهد مشاهد وغزوات رسول الله، ومنها معركتا أحد والخندق، وما بعدهما من المعارك والغزوات.

أما معركة بدر الكبرى فلم يذكره ابن هشام فى عداد المشاركين فيها.

ويبدو أن هذا- وقد يكون هناك غيره- هو السبب الذى أوجد الخلاف بين المؤرّخين فى مسألة حضوره بدراً أو عدمه، إلا أنهم اتفقوا على حضوره ما بعدها من المشاهد مع رسول الله.

كان خزيمة من المشاركين فى غزوة مؤتة بناحية الكرك بالبلقاء فى جمادى الأولى لسنة ثمان من الهجرة، حيث خاض هناك- هو ومن معه- معركةً لم يخض المسلمون

۱- التوبة: ۱۰۰.

۲- مختصر تاريخ دمشق ۴۵: ۸ وغيره.

ص: ۱۴۳

معركةً مثلها، فقد تدرّع المشركون الروم بالعتاد والجند ما يملأ السهل والجبل وما لا طاقة للمسلمين به، كما وصف ذلك عدد من المؤرخين، فاستشهد الكثير ممن كتبت له الشهادة بمن فيهم أمراء جيش المسلمين الثلاثة الذين استعملهم رسول الله، وهم: زيد بن حارثة، فجعفر بن أبى طالب، فعبد الله بن رواحة رضوان الله عليهم جميعاً (۱). فيما عاد المقاتلون الذين كتبت لهم السلامة إلى المدينة والألم يعتصر قلوبهم مما جرى ...

ومن الطبيعى أن تبقى أشياء كثيرة من ذكريات تلك المعركة الشرسة عالقةً فى أذهان المشاركين بها، فراح العديد من المقاتلين يتحدثون بها بين الفترة والأخرى.

فهذا عمارة بن خزيمة يحدث عن أبيه أنه قال:

حضرت مؤتة، فبارزت رجلًا يومئذ فأصبته وعليه بيضة له، فيها ياقوتة، فلم يكن همّى إلا الياقوتة فأخذتها، فلما

۱- انظر مقاتل الطالبيين: ۳۰، والمصادر التاريخية الأخرى.

ص: ۱۴۴

انكشفنا وانهزمنا رجعت بها إلى المدينة فأتيت بها رسول الله، فنفلنيها، فبعتها زمن عمر بن الخطاب بمائة دينار، فاشتريت حديقة نخل بنى خطمة (۱).

ويوم فتح مكة فى شهر رمضان عام ۸ هجرية كانت كل قبيلة من قبائل المسلمين تحمل رايتها، فيما كانت مع خزيمة بن ثابت راية قومه بنى خطمة ((۲)).

ذو الشهادتين!

تواترت فى قصة هذا الوسام الرائع والصفة الحميدة عدة روايات من أن رسول الله اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربى فجحد، فشهد له خزيمة بن ثابت.

فقال رسول الله: ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً؟!

قال: صدقتك بما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً.

وفى خبر آخر: صدقناك بخبر السماء ولا

۱- انظر كتاب المغازى للواقدى ۷۶۹: ۲، ومختصر تاريخ دمشق ۴۵: ۸.

۲- انظر مختصر تاريخ دمشق ۴۵: ۸.

ص: ۱۴۵

نصدقک بخبر اشتراء ناقهٔ.

فقال رسول الله:

(من شهد له خزیمهٔ أو شهد علیه فحسبه).

وفی روایهٔ أخری: أن النبی ابتاع فرساً من أعرابی، فاستتبعه النبی صلی الله علیه وآله وسلم لیقضیه ثمن فرسه، فأسرع النبی المشی وأبطأ الأعرابی، فطفق رجال یعترضون الأعرابی فیساومونه بالفرس، لا یشعرون أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم ابتاعه، حتی زاد بعضهم الأعرابی فی السوم علی ثمن الفرس الذی ابتاعه به النبی، فنادی الأعرابی النبی فقال: إن کنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته.

فقال النبی حین سمع نداء الأعرابی: أولیس قد ابتعته منک؟

قال الأعرابی: لا والله ما بعتک، فقال النبی: بلی، قد ابتعته منک.

فطفق الناس یلوذون بالنبی والأعرابی وهما یتراجعان، فطفق الأعرابی

ص: ۱۴۶

يقول: هلم شـهيداً يشـهد أنى بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابى: ويلك! إن النبى لم يكن ليقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبى ومراجعة الأعرابى، وطفق الأعرابى يقول: هلم شهيداً يشهد أنى بايعتك.

فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته.

فأقبل النبى على خزيمة فقال: بم تشهد؟

أو- كما فى رواية ثانية- كيف تشهد ولم تحضره ولم تعلمه؟

فقال: بتصديقك يا رسول الله!

أو أنه قال- حسب رواية أخرى-: يا رسول الله نحن نصدقك على وحى من السماء، فكيف لا نصدقك على أنك قضيته؟!

فأنفذ (ع) شـهادته وسـمّاه (ذا الشـهادتين)، لأنه صـيّر شهادته شهادة رجلين، وصارت شهادته- بهذا الوصف له من قبل رسول الله- فى أى قضية يدعى

ص: ۱۴۷

لها تغنى عن طلب شاهد آخر.

أو لأن خزيمة- كما فى خبر آخر- شهد للنبى على يهودى فى دين قضاه عليه السلام.

أنه الأيمان الوثيق واليقين العميق والبصيرة الواعية! فهيأه كل هذا لاستحقاق ذلك اللقب العظيم والوصف الجليل.

وقد احتلت هذه الرواية مكاناً لها فى المناقشات الفقهية عند الفريقين فى باب حجية علم القاضى وفى باب الشهادات ((۱)) ....

وافتخر الأنصار!

يعد هذا الشعار كرامةً أخرى تضاف إلى سجلّ الأنصار، الذين نالوا حظاً وافراً فى آيات قرآنية مباركة وأحاديث وأقوال نبوية شريفة، راحت تضفى عليهم صفات

۱- انظر فى هذا كله وسائل الشيعة ۱۸، ب ۱۸ من أبواب كيفية الحكم، ح ۳، ومختصر تاريخ دمشق ۴۷ ۴۶: ۸، وأحكام القرطبى ۴۰۵: ۳، والإصابة فى معرفة الصحابة: ۲۳۴۷، وغيرها من المصادر التاريخية والروائية والفقهية.

ص: ۱۴۸

عالية، وتذكر لهم مواقف شامخة، حتى غدوا أهلًا لثناء السماء ومدحها.

فقد وصفهم الله تعالى بأنهم مؤمنون، وبأن المغفرة والرزق الكريم نصيبهم، بسبب ما قدموه لرسول الله وللمؤمنين المهاجرين من إيواء ونصرة، فقال في كتابه العزيز: والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم (۱) وانظر الآية ۷۲ من سورة الأنفال، حيث فيها تكريم لهم لإيوائهم المهاجرين وعلى رأسهم نبي الرحمة، ونصرتهم لهم أيضاً.

وهم الذين قال فيهم رسول الله: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار).

إلى غير هذا من الإطراء عليهم وعلى ما قدّموه من أعمال حميدة وخدمات جليلة وفقهم الله تعالى لها، فاستحقوا عليها كل ذلك الثناء والذكر الطيب.

* فقد افتخر الأوس- وكان حقاً لهم

۱- الأنفال: ۷۴.

ص: ۱۴۹

أن یفتخروا- بثلّهٔ مؤمنهٔ منهم، تتضـمن أربعهً من أصـحاب رسول الله، تشـرفوا بالصـحبهٔ النبویهٔ المبارکهٔ، وحظوا بمناقب عالیهٔ وأوسـمهٔ رفیعهٔ.

فقالوا:

منا غسیل الملائکهٔ: حنظلهٔ بن راهب.

ومنا من اهتز له عرش الرحمن: سعد بن عبادهٔ.

ومنـا من حمته الـدبر أی النحل والزنابیر: عاصم بن ثابت بن أبی الأقلـح، فقـد أصـیب یوم أحـد، فمنعت النحل الکفار منه، وذلک أن المشرکین لما قتلوه أرادوا أن یمثلوا به، فسلط الله عز وجل علیهم الزنابیر الکبار تأبر الدارع، فارتدعوا عنه حتی أخذه المسلمون فدفنوه (۱).

ومنا من أجیزت شهادته بشهادهٔ رجلین: خزیمهٔ بن ثابت.

* فیما راحت الخزرج هی الأخری تعدد

۱- راجع لسان العرب، مادهٔ دبر.

ص: ۱۵۰

مناقب أربعة من أبنائها، وكأنه جاء رداً على ما تفاخرت به الأوس.

فقال الخزرجيون:

منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله، إذ لم يجمعه غيرهم، وهم:

زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبى بن كعب، ومعاذ بن جبل (۱).

إلاـ أن افتخارهم بهذه المناقب وبتلك الأوسمة- وهى ألقاب كانوا يحبونها بصدق- كاد أن يكون سبباً لإثارة ما دفن من أحقاد وضغائن ونزاعات قديمة بينهم دامت قرابة مائة عام، وذلك قبل أن يوحّدهم الإسلام ونبى الرحمة محمد، ولولا تدخّل السماء وحكمة رسول الله لهمّوا أن يقتتلوا.

فقد ذكر جمع من المفسرين أن سبب نزول آيتى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء

۱- انظر أحكام القرآن للقرطبى ۵۶: ۱، ومختصر تاريخ دمشق ۴۷: ۸.

ص: ۱۵۱

فألف بین قلوبکم فأصبحتم بنعمته إخواناً وکنتم علی شفا حفرة من النار فأنقذکم منها کذلک یبیّن الله لکم آیاته لعلکم تهتدون ((۱))، هو ما وقع من افتخار بین أوسیّ وخزرجی حول ما یتمتع به بعضهم من مناقب وفضائل.

فقد قال مقاتل: افتخر رجلان من الأوس والخزرج: ثعلبة بن غنم من الأوس، وأسعد بن زرارة من الخزرج.

فقال الأوسی: منّا ابن ثابت ذو الشهادتین، ومنا حنظلة غسیل الملائکة، ومنا عاصم بن ثابت حمی الدین، ومنا سعد بن معاذ الذی اهتز عرش الرحمن له ورضی بحکمه فی بنی قریظة.

وقال الخزرجی: منا أربعة أحکموا القرآن: أبی بن کعب، ومعاذ بن جبل، وزید بن ثابت، وأبو زید، ومنا سعد بن عبادة خطیب الأنصار ورئیسهم.

فجری الحدیث بینهما، فغضبا وتفاخرا ونادیا، فجاء الأوس إلی الأوسی والخزرج

۱- آل عمران ۱۰۲- ۱۰۳.

ص: ۱۵۲

إلى الخزرجى، ومعهم السلاح.

فبلغ ذلك النبى، فركب حماراً وأتاهم، فأنزل الله هذه الآيات، فقرأها عليهم فاصطلحوا (۱).

وهذه ليست الوحيدة والأخيرة بينهم، فانظر أسباب النزول للواحدى فى خصوص الآية إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ... (۲). تجد ما دار بين سعد بن معاذ زعيم الأوس (۳)، وسعد بن عبادة زعيم الخزرج، فثار الحيّان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

۱- انظر مجمع البيان فى تفسير القرآن للشيخ الطبرسى ۸۰۴: ۲، فى تفسير الآيتين المذكورتين، وراجع غيره من التفاسير.

۲- النور: ۱۱.

۳- وفى هذا كلام، لأن سعد بن معاذ توفى بعد حكمه المشهور فى بنى قريظة، وهو أمر وقع قبل حادثة الإفك بفترة تجاوزت أشهراً عديدة. اللهم إلا إذا أخذنا بما ذكره الواقدى من أن غزوة بنى المصطلق التى وقعت فيها حادثة الإفك كانت قبل غزوة بنى قريظة، بل وقبل غزوة الخندق، فكانتا بعد المريسيع لحرب بنى المصطلق من خزاعة فوقعت فى شعبان سنة خمس من الهجرة، وهو كما يبدو خلاف مشهور المؤرخين الذى يذهب إلى أن رسول الله غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست من الهجرة. انظر: تاريخ الطبرى ۱۰۴: ۲.

ص: ۱۵۳

هذا إضافة إلى ما كان يذكيه يهود المدينة ويغذونه من نعرات قديمة بين الحيّين الأوس والخزرج.

رؤيا خزيمة!

عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن أبيه: أنه رأى فى المنام كأنه سجد على جبين رسول الله، فذكر ذلك لرسول الله.

فقال رسول الله: إن الروح لا تلقى الروح. فأقنع رسول الله رأسه، ثم أمره فسجد من خلفه على جبينه، جبين رسول الله (۱).

جمع القران:

أكدت كثير من المصادر التاريخية والروائية أنه كان لخزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) دور واضح فى مهمة جمع آيات كتاب الله تعالى، فقد راح العديد من الصحابة يستعينون به فى هذا المشروع، خاصة حين فقدانهم لبعض الآيات القرآنية المباركة:

۱- انظر فى ذلك ما رواه أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، وغيره.

ص: ۱۵۴

فعن زید بن ثابت أنه قال:

لما کتبنا المصاحف فقدت آیة کنت أسمعها من رسول الله من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیه فمنهم من قضی نحبه ومنهم من ینتظر وما بدلوا تبدیلًا (۱). فوجدتها عند خزیمة بن ثابت، وکان یدعی ذا الشهادتین، فألحقتها فی سورتها.

وفی روایة أخری: أن عمر بن الخطاب أراد أن یجمع القرآن، فقام فی الناس فقال: من کان تلقی من رسول الله شیئاً من القرآن فلیأتنا به.

وکانوا کتبوا ذلک فی الصحف والألواح والعسب- جمع عسیب، وهو جریدة النخل مما لا ینبت علیه الخوص کما فی لسان العرب- وکان لا یقبل من أحد شیئاً حتی یشهد شهیدان، فقتل وهو یجمع ذلک.

فقام عثمان بن عفان فقال:

من کان عنده من کتاب الله عز وجل شیء

۱- الأحزاب: ۲۳.

ص: ۱۵۵

فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان.

فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إنى قد رأيتكم قد تركتم آيتين لم تكتبوهما.

قال: وما هما؟

قال: تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وآله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (۱).

قال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين تريد أن تجعلهما؟

قال: اختم بهما آخر ما نزل من القرآن. فختمت بهما براءة (۲).

ووجدوا عند خزيمة بن ثابت- وفى رواية عند أبى خزيمة- آية فإن تولوا فقل حسبى الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (۳).

۱- التوبة: ۱۲۸ و ۱۲۹.

۲- انظر مختصر تاريخ دمشق ۴۶: ۸ البيان فى تفسير القرآن للسيد الخوئى: ۲۴۲- ۲۴۳، أحكام القرآن للقرطبى ۵۰: ۱.

۳- التوبة: ۱۲۹.

ص: ١٥٦

مما رواه:

كان خزيمة رضوان الله عليه ملازماً لمدرسة القرآن والنبوة لآياتها ومواقفها وآثارها وثمارها، حريصاً عليها، حافظاً لها، مستفيداً منها، أميناً فى نقل ما تيسر له مما توفر عليه من علم، ومعرفة، وآيات قرآنية مباركة، وأحاديث نبوية شريفة، وكان منها:

- عنه عن رسول الله أنه قال: (عمار تقتله الفئة الباغية).

- وروى عنه- وعن جمع آخر- أن رسول الله جمع بين المغرب والعشاء بجُمع، صلى المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين بإقامة

ص: ۱۵۷

واحدة (۱) ...

- وعنه: نهانا رسول الله أن نستنجی بأقل من ثلاثة أحجار، وأن نستنجی برجیع أو عظم.

- وعنه عن رسول الله أنه قال: من استطاب بثلاثة أحجار لیس فیهن رجیع کان له طهوراً.

- وعنه: کان إذا فرغ من تلبیته سأل الله رضوانه ومغفرته، واستعاذ برحمته من النار.

- وعنه أن النبی قال: من أصاب ذنباً فأقیم علیه حد ذلک الذنب فهو کفارته.

- وعنه عن النبی أنه قال:

إنی رأیت الملائکة تغسل حنظلة بن أبی عامر بین السماء والأرض بماء المزن فی صحاف الفضة (۲).

- ومن غرائب حدیثه- کما ورد فی مختصر تاریخ دمشق- ما حدث أنهم کانوا

۱- انظر أحکام القرطبی ۴۲۴: ۲.

۲- استشهد بأحد جنباً، فلذلک رأی النبی الملائکة تغسله.

ص: ۱۵۸

عنـد رسول الله فی المسـجد، وهو مسـند ظهرَه إلی بعض حجرات نسائه، فدخل رجل من أهل العالیة فجلس یسأل رسول الله، فشم منه رسول الله ریحاً تأذی هو وأصحابه.

- فقال: من أکل من هذه الشجرة فلا یؤذینا بها.

وهناک أحادیث أخری إضافة إلی ما توفرت علیه هذه المقالة من روایاته رضوان الله تعالی علیه.

ولاؤه للإمام علی ولاهل البیت:

کان خزیمـة بن ثابت ذو الشـهادتین من أتباع مدرسـة أهل بیت النبوة والعصـمة والطهارة سـلام الله علیهم، وهو ما عرف به وعرفت به مواقفه، دفاعاً عن حقانیة العترة الطاهرة المتمثلة فی زمنه بالإمام علی بن أبی طالب سـلام الله علیه، وظل هذا الرجل علی اسـتقامته هذه لم یغیّر ولم یبدل حتی فاضت روحه شهیداً بین یدی

ص: ۱۵۹

أمير المؤمنين على سلام الله عليه فى يوم صفين.

روايته لحديث الثقلين:

وقد تشرف بأن يكون واحداً من رواة حديث الثقلين المعروف، وهو الحديث الذى يبين منزلة أهل البيت سلام الله تعالى عليهم، وأنهم الثقل الثانى بعد القرآن، وأن التمسك بهما معاً هو الذى ينجى من الضلالة والتيه والانحراف.

فعن أبى الطفيل: أن علياً (ع) قام فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أنشد الله من شهد يوم غدير خم إلا قام، ولا يقوم رجل يقول: ثبت أو بلغنى إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه، فقام سبعة عشر رجلًا، منهم خزيمة بن ثابت و ...

فقال على (ع): هاتوا ما سمعتم.

فقالوا: نشهد أنا أقبلنا مع رسول الله من حجة الوداع ونزلنا بغدير خم، ثم نادى بالصلاة جامعة، فصلينا معه، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس ما أنتم قائلون؟

ص: ۱۶۰

قالوا: قد بلغت.

قال: اللهم اشـهد ثلاث مرات ثم قال: إنى أوشك أن أدعى فأجيب وإنى مسؤول وأنتم مسؤولون، ثم قال: أيها الناس إنى تارك فيكم الثقلين، كتـاب الله وعترتى أهـل بيتى، إذا تمسـكتم بهمـا لن تضـلوا، فـانظروا كيف تخلفونى فيهمـا، وإنهمـا لن يفترقـا حتى يردا على الحوض، بذلك نبأنى اللطيف الخبير، ثم قال:

إن الله مولاى وأنا مولى المؤمنين، ألستم تعلمون أنى أولى بكم من أنفسكم؟

قالوا: بلى.

قال ذلك ثلاثاً. ثم أخذ بيدك يا أمير المؤمنين فرفعها وقال:

من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

فقال على: صدقتكم وأنا على ذلك من الشاهدين (۱).

هم الأئمة

وكان رضوان الله عليه من كبار أصحاب أمير المؤمنين على (ع) ومن قادة جنده

۱- انظر: حديث الثقلين لنجم الدين العسكرى: ۸۴.

ص: ۱۶۱

المعروفين بالصلابة والفداء، ومن جلسائه المقرّبين إليه، ومن أوائل الذين دافعوا عن منزلة أهل البيت، وأنهم أئمة الحق الذين يقتدى بهم، كما جاء في رواية الاحتجاج للطبرسی بسنده عن ابن تغلب عن الإمام جعفر الصادق (ع).

ووقع هذا يوم أنكر جمع من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بنی أمية، وسلمان الفارسی، وأبو ذر الغفاری و ...

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين و ... واحدقوا بالمنبر بمحضر من الخليفة الأول وجمع كبير من المسلمين ... ثم راح كل واحد منهم يدلی بحجته حتی وصل الأمر إلی خزيمة بن ثابت فقال:

أيها الناس، ألستم تعلمون أن رسول الله قبل شهادتی وحدی ولم يرد معی غيری؟

قالوا: بلی.

قال: فأشهد أنی سمعت رسول الله يقول:

(أهل بيتی يفرقون بين الحق والباطل،

ص: ١٦٢

وهم الأئمة الذين يقتدى بهم).

وقد قلت ما علمت وما على الرسول إلا البلاغ المبين (١).

اذكر علياً وآله:

فى الأيام الأولى لخلافة أبى بكر اعتزل جمع من الأنصار عنه، فغضبت قريش من موقف الأنصار هذا ... فقالت لعمرو بن العاص: قم، فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار، ففعل ذلك.

فقام الفضل بن العباس فرد عليهم، ثم صار إلى على فأخبره، وأنشده شعراً قاله.

فخرج على مغضباً حتى دخل المسجد، فذكر الأنصار بخير، ورد على عمرو بن العاص قوله.

فلما علمت الأنصار ذلك سرها وقالت: (ما نبالى بقول من قال مع حسن قول على.

واجتمعت إلى حسان بن ثابت فقالوا: أجب الفضل.

فقال: إن عارضته بغير قوافيه فضحنى.

فقالوا: فاذكر علياً فقط.

١- راجع الاحتجاج للطبرسى.

ص: ۱۶۳

أما خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال: اذكر علياً وآله يكفيك عن كل شيء).

فأنشد حسان أبياتاً تسعاً كان منها:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه أبا حسن عنا ومن كأبى حسن؟!

غضبت لنا إذ قال عمرو بخصلة أمات بها التقوى وأحيا بها الإحن

ألست أخاه فى الهدى ووصيه وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن؟ (۱)

من أوائل المبايعين: وكان أيضاً من أوائل الذين بايعوا الإمام علياً سلام الله عليه بالخلافة من الأنصار الذين ذكرهم الشيخ المفيد رحمه الله تعالى، وعدد منهم تسعة وعشرين احتل ذو الشهادتين الرتبة الثانية بينهم، ثم عقب الشيخ فى نهاية هذه السلسلة مشيداً بالأنصار قائلًا:

فى أمثالهم من الأنصار الذين بايعوا البيعتين، وصلوا القبلتين، واختصوا من مدائح القرآن والثناء عليهم من نبى

۱- تجد بقية الأبيات والقصة كاملة مع مصادرها فى كتاب الغدير للشيخ الأمينى ۴۲: ۲- ۴۳.

ص: ١۶۴

الهـدى عليه وآله السـلام بما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان، وممن لو أثبتنا أسـماءهم لطال بها الكتاب، ولـم يحتمل استيفاء العـدد الذى حددناه (١).

وقد ذكر السـيد محسن الأمين فى كتابه (فى رحاب أئمة أهل البيت) أن الحاكم روى فى المسـتدرك بسنده أنه لما بويع على بن أبى طالب على منبر رسول الله، قال خزيمة بن ثابت، وهو واقف بين يدى المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا

أبو حسن مما نخاف من الفتن رجوناه أولى الناس بالناس إنه

أطبّ قريش بالكتاب وبالسنن وإن قريشاً ما تشق غباره

إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن وفيه الذى فيهم من الخير كله

وما فيهم كل الذى فيه من حسن (٢)

هـذا، وقـد انضم ذو الشـهادتين إلى الإمـام عليه السـلام، و شارك معه فى المعارك التى خاضـها أثناء خلافته، كمعركـة الجمل ضـد الناكثين، ومعركة صفين ضد القاسطين معاوية وجنده،. وأبلى فيهما بلاءً حسناً.

١- المفيد، الجمل: ١٠۵- ١٠۶.

٢- محسن الأمين، فى رحاب أئمة أهل البيت ٣: ٢.

ص: ۱۶۵

في معركة الجمل:

في منتصف جمادى الآخرة وقعت حرب الجمل بين جيش الزبير وطلحة ومعهم أم المؤمنين عائشة من جهة، وجيش الإمام على (ع) من جهة أخرى.

ذو الشهادتين وابن الحنفية:

كانت راية الإمام على (ع) مع ابنه محمد بن الحنفية فنخس قفاه، وقال له: احمل فتقدم، حتى لم يجد متقدماً إلا على سنان رمح. فقال: تقدم لا أمّ لك، فتلكأ، فتناول الراية من يده وقال: يابنى بين يدى.

وفى رواية ابن أبى الحديد: أنه دفع إليه الراية يوم الجمل وقد استوت الصفوف.

وقال له: احمل فتوقف قليلًا.

فقال له: احمل. فقال يا أمير المؤمنين، أما ترى السهام كأنها شآبيب المطر، فدفع فى صدره وقال: أدركك عِرْق من أمك. ثم أخذ الراية فهزها ثم قال:

اطعن فها طعن أبيك تحمد

لا خير فى الحرب إذا لم توقدبالمشرقى والقنا المسدد

ص: ۱۶۶

ثم حمل وحمل الناس خلفه، فطحن عسكر البصرة.

قيل لمحمد: لم يغرر بك أبوك فى الحرب ولا يغرّر بالحسن والحسين؟

فقال: إنهما عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه.

ثم دفع الراية إلى محمد وقال: امح الأولى بالأخرى وهذه الأنصار معك، وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين فى جمع من الأنصار كثير من أهل بدر، وحمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاءً حسناً.

فقال خزيمة بن ثابت لعلى (ع): أما أنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه. وإن كنت أردت أن تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال.

وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين ما قدمنا على محمد أحداً من العرب.

فقال على (ع): أين النجم من الشمس والقمر؟! أما أنه قد أغنى وأبلى وله الفضل.

ص: ۱۶۷

فقال خزيمة بن ثابت فيه:

محمد ما فى عودك اليوم وصمة ولا كنت فى الحرب الضروس معوداً

أبوك الذى لم يركب الخيل مثله على وسماك النبى محمداً

فلو كان حقاً من أبيك خليفة لكنت ولكن ذاك ما لا يرى أبدا

وأنت بحمد الله أطول غالب لساناً وأنداها بما ملكت يداً

وأطعنهم صدر الكمى برمحه وأكساهم للهام عضباً مهنداً

سوى أخويك السيدين كلاهما إمام الورى والداعيان إلى الهدى

أبى الله أن يعطى عدوك مقعداً من الأرض أو فى اللوح مرقى ومصعداً (۱)

شعره يوم الجمل:

ذكر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة: قال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين- وكان بدرياً- فى يوم الجمل:

ليس بين الأنصار فى جحمة الحر ب وبين العداة إلا الطعان

وقراع الكماة بالقضب البيض فإذا ما تحطم المران

فادعها تستجب فليس من الخز رج والأوس يا على جبان

يا وصى النبى قد أجلت الحر ب الأعادى وسارت الأظعان

واستقامت لك الأمور سوى الشام وفى الشام يظهر الأذعان

حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا وكانوا

۱- محسن الأمين، فى رحاب أئمة أهل البيت ۴۲: ۲- ۴۳.

ص: ۱۶۸

ذو الشهادتین وأم المؤمنین:

ولم یکتف ذو الشهادتین بذلک، بل راح یخاطب أم المؤمنین عائشهٔ طالباً منها التخلّی عن موقفها التحریضی و المناوئ لعلی (ع)، فذکرها بأنه وصی رسول الله، کما یذکر ابن ابی الحدید ذلک حیث یقول:

وقال خزیمهٔ أیضاً یوم الجمل:

أعائش خلّی عن علی وعیبه بما لیس فیه إنما أنت والدهٔ

وصی رسول الله من دون أهله وأنت علی ما کان من ذاک شاهدهٔ

وحسبک منه بعض ما تعلمینه ویکفیک لو لم تعلمی غیر واحدهٔ

إذا قیل ماذا عبت منه رمیته بخذل ابن عفان وما تلک آبدهٔ

ولیس سماء الله قاطرهٔ دماً لذاکوما الأرض الفضاء بمائدهٔ (۱)

فی معرکهٔ صفین: وکان خزیمهٔ رضوان الله تعالی علیه ممن شهد معرکهٔ الجمل کما ذکرنا، وفی سنهٔ ۳۷ هجریهٔ شهد معرکهٔ صفین بجانب جیش الإمام علی (ع)، و کان فیها من المقاتلین الأشداء المعروفین ببسالتهم.

۱- ابن ابی الحدید، شرح نهج البلاغهٔ ۱۴۵: ۱- ۱۴۶.

ص: ۱۶۹

فقد كان واحداً من أشياخ الأنصار الذين توجه إليهم الإمام طالباً منهم المشورة.

فقد ورد فى الخبر: أن الإمام علياً (ع) لما أراد المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

(أما بعد، فإنكم ميامين الرأى، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى

ص: ۱۷۰

عدونا وعدوكم، فأشيروا علينا برأيكم).

فكان خزيمـة واحداً من أولئك الذين استحقوا المنزلة التى اختارها أمير المؤمنين لهم، وقد حظى هو ومن معه بهذه الصفات العظيمة التى لم تصدر من الإمام (ع) إذا لم يكونوا أهلًا لها أبداً. وقد سبقهم قيس بن سعد بن عبادة بالكلام، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أمير المؤمنين، انكمش بنا إلى عدونا ولا تعرد (۱)، فوالله لجهادهم أحب إلىّ من جهاد الترك والروم، لادهانهم فى دين الله واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه. وفيئنا لهم فى أنفسهم حلال، ونحن لهم فيما يزعمون قطين (۲).

وما إن انتهى من كلامه حتى بادر أشياخ الأنصار- وذكر منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب الأنصارى وغيرهما-

---

۱- الانكماش: الإسراع والجد، والتعريد: الفرار والإحجام والانهزام.

۲- القطين: الرقيق أو الخدم والأتباع والمماليك.

ص: ۱۷۱

فقالوا لقیس:

لم تقدمت أشیاخ قومک وبدأتهم یا قیس بالکلام؟

فقال: أما أنی عارف بفضلکم، معظم لشأنکم، ولکنی وجدت فی نفسی الضغن الذی جاش فی صدورکم حین ذکرت الأحزاب.

فقال بعضهم لبعض: لیقم رجل منکم فلیجب أمیر المؤمنین عن جماعتکم.

وهنا وقع اختیارهم علی سهل بن حنیف.

فقالوا: قم یا سهل بن حنیف.

فقام سهل، فحمد الله وأثنی علیه، ثم قال: یا أمیر المؤمنین، نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت، ورأینا رأیک ونحن کف یمینک، وقد رأینا أن تقوم بهذا الأمر فی أهل الکوفة، فتأمرهم بالشخوص، وتخبرهم بما صنع الله لهم فی ذلک من الفضل، فإنهم هم أهل البلد وهم الناس، فان استقاموا لک استقام لک الذی ترید وتطلب ..

وأما نحن فلیس علیک منا خلاف، متی

ص: ۱۷۲

دعوتنا أجبناك، ومتى أمرتنا أطعناك (۱).

إذن فهم- وكما فى الخبر- كانوا راغبين فى الموافقة وتلبية طلب أميرالمؤمنين‌على (ع) دون تردد من أحد بمن فى ذلك الصحابى الجليل موضوع مقالتنا. وإن وردت رواية عن عمارة بن خزيمة أن خزيمة شهد الجمل وهو لا يسلّ سيفاً، وشهد صفين وقال: أنا لا أقتل أحداً حتى يقتل عمار، فأنظر من‌يقتله، فإنى‌سمعت رسول الله يقول: (تقتله الفئة الباغية).

قال: فلما قتل عمار بن ياسر قال خزيمة: قد بانت لى الضلالة، ثم اقترب، فقاتل حتى قتل.

وكان الذى قتل عمار بن ياسر أبو الغادية المزنى، طعنه برمح فسقط، وكان يومئذ يقاتل فى محفة (۲)، فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين سنة، فلما وقع أكب

۱- انظر فى هذا وقعة صفين لنصر بن مزاحم المتوفى سنة ۲۱۲، بتحقيق عبد السلام محمد هارون: ۹۳- ۹۴، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى قدس سره الشريف.

۲- المحفة: المركب كالهودج، إلا أنّ الهودج يقبّب، والمحفة لا تقبّب، راجع لسان العرب.

ص: ۱۷۳

علیه رجل آخر فاحتز رأسه، فأقبلا یختصمان فیه، وکلاهما یقول: أنا قتلته.

فقال عمرو بن العاص: والله، إن تختصمان إلا فی النار. فسمعها معاویهٔ، فلما انصرف الرجلان قال معاویهٔ لعمرو بن العاص: ما رأیت مثلما صنعت! قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنکما تختصمان فی النار؟!

فقال عمرو: وهو والله ذلک، والله إنک لتعلمه، ولوددت أنی مت قبل هذا بعشرین سنهٔ (۱)!

فعلی فرض صحّهٔ هذه الروایهٔ وسلامتها، مع أنها مخالفهٔ لتفاصیل مواقفه المذکورهٔ أعلاه فی معرکتی الجمل وصفین، والتی تدل بشکل واضح علی یقینه وسلامهٔ اختیاره، لا ضیر فیها علی خزیمهٔ، وهو المعروف بنفاذ بصیرته وسلامتها، وعمق ولائه لأمیر المؤمنین علی، وقد خرج إلی معرکهٔ صفین ومن قبلها معرکهٔ الجمل بکامل وعیه

۱- انظر مختصر تاریخ دمشق ۴۸: ۸.

ص: ۱۷۴

للحق الذى لا يفارق علياً (ع) وللباطل الذى لاذ به خصوم على (ع).

ولكن مع كل هـذا، فقـد يحدث للإنسان فى لحظة ما تردد أو توقف وهو فى أمر خطير جداً يحدد مصـيره، أو وهو يخطرعلى باله قول رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى بحقّ عمار بن ياسر:

(أن أبشر عمار! تقتلك الفئة الباغية، آخر زادك من الدنيا ضياح لبن).

فيجعله الرمز ورايته راية الحق، يسـتعين بها من تصـيبه غفلة أو ضـلالة أو حيرة، إما إلى الجنة وإما الى النار، فينتظر برهة ثم يحسم أمره ليكون على بصيرة من أمره لا يشوبها ريب أو نقصان أبداً، أو أنه من باب ليطمئن قلبى لا غير ...

فإن دلّت هـذه العلامـة المنحصـرة بعمار رضوان الله تعالى عليه (تقتلك الفئـة الباغيـة ...) على شـىء عظيم، فإنما تـدل على رحمـة الله تعالى بعباده، وحرص النبى

ص: ۱۷۵

على محبيه وأتباعه فى أن لا ـ تستبدّ بهم الضلالة والحيرة، وأن لا ـ تبقى الغشاوة على أعينهم طويلًا، و أن لا ينزغ الشيطان بينهم وبين الحق الذى يريدون، فيصوّر الحق ضلالةً والضلالة حقاً، فتختلط عليهم الأوراق، وقد يقع المحذور وسوء الاختيار، مع ضيق الوقت وخطورة الموقف وحراجته، مما لا ـ يدع مجالًا لإعادة النظر واختيار الأصح والأصوب، فكان عمار ورايته الدليل الناصع على حقانية الطائفة التى يقاتل عمار دفاعاً عنها، وضلالة الطائفة التى يقاتلها، وهذا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فمن لم تذكره هذه الراية التى قدرت السماء أن يحملها عمار، والتى زينها رسول الله بقول آخر لعلى (ع) عندما ذكر عماراً:

(أما إنه سيشهد معك مشاهد أجرها عظيم، وذكرها كثير، وثناؤها حسن) (۱).

فمن لم يذكره كل هذا بمكان الحق

۱– انظر: كنز العمال ۷۲۳: ۱۱، حلية الأولياء ۱۴۲: ۱.

ص: ۱۷۶

والهدی، فهو الذی مات قلبه، أو لم یکن عنده قلب علی الإطلاق، ولم یکن قد هیأ سمعه وأنصت بوعی لنداء الهدی، فاستبد به العناد، فکانت عاقبته الخزی فی الدنیا والعذاب فی الأخری، وذلک هو الخسران المبین.

وخزیمة وغیره من الأصحاب الذین نوّر الله تعالی قلوبهم بنور الحق، یعرفون جمیع هذا وغیره بحکم ملازمتهم لرسول الله ووعیهم لأقواله وبحکم بصیرتهم النافذة فی معرفة منزلة علی من رسول الله، لهذا نراهم قد استبسلوا فی الدفاع عن علی ومواقفه طیلة حیاتهم.

وخزیمة هو الذی دعا أن یغتسل غسل الشهادة حینما آوی إلی فسطاطه.

تقول الروایة:

عن الفضیل بن دکین قال: حدثنا عبد الجبار بن العباس الشامی عن أبی إسحاق قال: لما قتل عمار، دخل خزیمة بن ثابت فسطاطه وطرح عنه سلاحه، ثم شن علیه

ص: ۱۷۷

الماء فاغتسل، ثم قاتل حتى قتل ((۱)).

ليرد معركة الشهادة التى تيقنها كأنه يراها أمام عينيه وهو يرى عماراً على ترابها صريعاً شهيداً، وخزيمة يردد: لقد سمعتها من رسول الله: (عمار تقتله الفئة الباغية ...).

وفى رواية: أن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: كنت بصفين فرأيت رجلًا ملثماً يقاتل الناس قتالًا شديداً يميناً وشمالًا، فقلت: يا شيخ، أتقاتل الناس يميناً وشمالًا؟!

فحسر رضوان الله عليه عن عمامته ثم قال:

سمعت رسول الله يقول:

(قاتل مع على جميع من يقاتله).

وأنا خزيمة بن ثابت الأنصارى.

ثم راح يواجه الموت بقلب متلهّف للشهادة، متيقن لأجرها وثوابها، وهو يرتجز قائلًا:

قد مرّ يومان وهذا الثالث هذا الذى يلهث فيه اللاهث

۱- انظر: رجال الكشى: ۵۲- ۵۳.

ص: ۱۷۸

هذا الذی یبحث فیه الباحث کم ذا یرجی أن یعیش الماکث

الناس موروث ومنهم وارث هذا علی من عصاه ناکث

وظل خزیمة یقاتل حتی استشهد بجوار الصحابی الجلیل عمار بن یاسر رضوان الله تعالی علیهما. ووقع هذا سنة سبع وثلاثین هجریة.

ثم راحت ضبیعة بنت خزیمة بن ثابت التی عرفت بإیمانها وولائها للإمام علی سلام الله علیه ترثی أباها صاحب الشهادتین:

عین جودی علی خزیمة بالدمع قتیل الأحزاب یوم الفرات

قتلوا ذا الشهادتین عتواً أدرک الله منهم بالتراب

قتلوه فی فتیة غیر عزل یسرعون الرکوب للدعوات

نصروا السید الموفق ذا العد ل ودانوا بذاک حتی الممات

لعن الله معشراً قتلوه ورماهم بالخزی والآفات

وانطلق عبد الله یزید بن عاصم الأنصاری یرثی من قتل من أصحابه، وخزیمة رضوان الله علیه کان واحداً منهم، قائلًا:

یا عین جودی علی قتلی بصفینا أضحوا رفاتاً وقد کانوا عرانینا

أنی لهم صرف دهر قد أضرّ بنا تبا لقاتلهم فی الیوم مدفوناً

ص: ۱۷۹

کانوا أعزة قومی قد عرفتهم مأوی الضعاف وهم یعطون ماعوناً

أعزز بمصرعهم تباً لقاتلهم علی النبی وطوبی للمصابینا (۱)

هـذا، وهناک قول بأن ذا الشـهادتین توفی فی زمن الخلیفـة الثالث عثمان بن عفان، وأن الذی استشـهد مع الإمام علی علیه السـلام فی صفین هو صحابی آخر یحمل الاسم نفسه، أی خزیمة بن ثابت، إلا أنه لیس المعروف بذی الشهادتین.

وهو قول شاذ لأنه:

أولًا: مخالف لما أجمع علیه علماء السیر من أن الذی استشـهد فی معرکة صـفین هو خزیمة بن ثابت ذو الشـهادتین، وأنه لم یمت فی عهد عثمان.

وثانیاً: لعدم وجود صحابی بهذا الإسم، أی خزیمة بن ثابت، غیر المتصف بذی الشهادتین (۲).

۱- اُنظر: وقعة صفین لنصر بن مزاحم: ۳۶۴- ۳۶۶.

۲- راجع: الإصابة وغیرها من المصادر التاریخیة.

ص: ۱۸۰

الإمام (ع) يندب إخوانه ويطرى عليهم ومنهم ذو الشهادتين:

وقد راح الإمام على (ع) يذكر إخوانه كما كان يسميهم، الذين استشهدوا فى معركة صفين ويشيد بهم ويتمنى وجودهم، وكان الحزن يعتصر قلبه على مصرعهم، وهو يرى تخاذل جنده وأتباعه وتباطئهم فى الاستجابة له حينما يستحثهم لمواصلة المرحلة الثانية من القتال ضد معاوية وجنده، ومما قاله سلام الله عليه:

... ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين إلا يكونوا اليوم أحياء؟ يسيغون الغصص ويشربون النق! قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم.

ثم راح يندبهم ويصفهم بالأخوة، ويعدد نماذج منهم قائلًا:

أين إخوانى الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟! أى: استقاموا فيه لم ينحرفوا إلى هنا وهناك، لا يبتغون عنه بدلًا.

أين عمار؟!

وأين ابن التيهان؟!

ص: ۱۸۱

وأین ذو الشهادتین؟! وهو خزیمة بن ثابت، والإمام سلام الله علیه راح ینادیه بلقبه الذی جعله رسول الله له، أن عدّ شهادته منفردةً قائمة مقام شهادة رجلین.

وأین نظراؤهم من إخوانهم الذین تعاقدوا علی المنیّة، وأبرد برؤوسهم إلی الفجرة؟!

ثم ضرب بیده علی لحیته الشریفة الکریمة، فأطال البکاء ثم قال علیه السلام:

أوه علی أخوانی الذین تلوا القرآن فأحکموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحیوا السنة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه.

وبعد إطرائه علیهم رضوان الله علیهم نادی بأعلی صوته:

الجهاد الجهاد عباد الله (۱) ...

ذو الشهادتین فی کتب علماء الرجال:

کان طبیعیاً أن یحتل خزیمة بن ثابت

۱- انظر: نهج البلاغة، صبحی الصالح: ۲۶۴.

ص: ۱۸۲

مكانةً قيمةً عند علماء الرجال والحديث من الفريقين، لما تمتّع به هذا الصحابى الجليل من إيمان وثيق، وصدق حديث ورواية، استحق بها اللقب العظيم (ذو الشـهادتين)، الذى أضفاه عليه النبى الكريم صلوات الله عليه، تضاف إلى سجله الحافل بالمواقف الجهادية طوال حياته الإيمانية المباركة:

ففى رجال الشيخ الطوسى+:

خزيمة بن ثابت من أصحاب رسول الله. وعده مع توصيفه بذى الشهادتين فى أصحاب على (ع) (۱).

فيما قال عنه البرقى فى آخر رجاله:

هو من الإثنى عشر الذين أنكروا على أبى بكر حيث قال: ألست تعلم يا أبا بكر أن رسول الله قبل شهادتى وحدى.

قال: بلى.

قال: فإنى أشهد بما سمعته منه وهو قوله: (إمامكم بعدى على (ع)، لأنه الأنصح لأمتى والعالم فيهم).

أما فى العيون فقد ذكره: إنه من

۱- رجال الشيخ الطوسى: ۵.

ص: ۱۸۳

الذين مضوا على منهاج نبيهم، ولم يغيروا ولم يبدلوا ((۱)).

وأما الكشي، فقد ذكر أكثر من رواية تبين مواقفه دفاعاً عن الإمامة الحقة المتمثلة بأمير المؤمنين علي (ع) منها:

الرواية الأولى: رواية اغتساله قبل قتاله في صفين التي ذكرناها.

الرواية الثانية: رواية أنه سل سيفه في صفين قائلًا: سمعت رسول الله يقول: (عمار تقتله الفئة الباغية) التي ذكرناها.

الرواية الثالثة: جعفر بن معروف قال: حدثني محمد بن الحسن عن جعفر ابن بشير عن حسين بن أبي حمزة عن أبيه حمزة قال: والله، إني على ظهر بعيري في البقيع إذ جاءني رسول فقال: أجب يا أبا حمزة فجئت وأبو عبدالله (ع) جالس، فقال: إني لأستريح إذا رأيتك. ثم قال: إن أقواماً يزعمون أن علياً (ع) لم يكن إماماً حتى شهر سيفه، خاب إذن عمار وخزيمة بن ثابت

۱- راجع أسماءهم في ترجمة جندب بن جنادة في رجال الحديث للخوئي.

ص: ۱۸۴

وصاحبك أبو عمرة، وقد خرج يومئذ صائماً بين الفئتين بأسهم فرماها قرباً يتقرب بها إلى الله تعالى حتى قتل، يعنى عماراً (۱).

وذكر السيد الخوئى+ فى رجال الحديث سبب تسميته أو توصيفه بذى الشهادتين عن كتاب الكافى، كتاب الشهادات ۵ باب النوادر ۲۳، ح ۱ فى المجلد ۸. ونقل السيد الخوئى أيضاً أقوال جمع من علماء الرجال ذكرنا بعضها أعلاه، فانظر ترجمته هناك مفصلة.

وهكذا تحدث عنه علماء آخرون كالذهبى فى كتاب سير أعلام النبلاء، فقد قال عنه: خزيمة بن ثابت الفقيه أبو عمارة الأنصارى الخطمى المدنى ذو الشهادتين، قيل: إنه بدرى، والصواب إنه شهد أحداً وما بعدها. وله أحاديث.

وكان من كبار جيش على فاستشهد معه يوم صفين.

حدث عنه ابنه عمارة، وأبو عبد الله

۱- راجع: ترجمة عمار: ۳.

ص: ۱۸۵

الجدلی، وعمرو بن میمون الأودی، وإبراهیم بن سعد بن أبی وقاص وجماعة.

قتل رضی الله عنه سنة ۳۷ ه-، وکان حامل رایة بنی خطمة. وشهد مؤتة (۱).

وذکره ابن حبان فی کتاب الثقات وطبقات المحدثین وغیره مع بعض ما رواه عن النبی.

وختاماً

لقد حظی هذا الصحابی الجلیل رضوان الله تعالی علیه بما تمنّاه، ألا وهو الشهادة فی سبیل الله تعالی، التی ختم بها عمره البالغ سبعین سنة، إذا ما أخذنا بما ذکره بعض من کتب عن خزیمة بن ثابت ذی الشهادتین، وإن لم أعثر علی دلیل تاریخی یثبته فیما تیسّر لی من مصادر تاریخیة، من أنه ولد قبل البعثة النبویة المبارکة بعشرین سنة، فیکون عمره حین استشهاده رضوان الله تعالی علیه سبعین سنة، فهو شیخ کبیر، ویعد من مشایخ المسلمین الذین نالوا وسام

۱- انظر: سیر أعلام النبلاء ۴۸۵: ۲۰.

ص: ۱۸۶

الشهادهٔ فی معرکهٔ صفین بعد عمار بن یاسر رضوان الله تعالی علیه.

فسلام علیک نفساً مطمئنهً آمنت بربها، فرحلت إلیه راضیهٔ مرضیهٔ!

الدَّاعیهٔ الأمریکی الحاج مالک شباز (مالکولم إکس) الحجُّ وفعلُه التغییری فی حیاته وفکره

آدم بمبا

مقدمهٔ

إذا کانت وحدهٔ الأصل البشریِّ، وتساوی الشُّعوب مسلَّمهٔ طبیعیَّهٔ، فإنَّ هذه الحقیقهٔ یصعب الاهتداء إلیها فی ظلِّ العنصریَّات والمواقف المسبقهٔ عن الشُّعوب والأمم، ولا سبیلَ إلی رفع هذا الکَلَف عن وجه هذه الحقیقهٔ الناصعهٔ إلَّا بتوفیر فرَص من «التعارف» الحقِّ بین الناس؛ فالإنسان عدوٌّ ما یجهل. وإذا کانت وسائل انتقال الأفراد والجماعات، وأسباب اختلاط الأمم بعضها ببعض متعدِّدهٔ، فإنَّ رحلهٔ الحج تظلُّ

ص: ۱۸۷

قمَّة الوسائل فى توفير مسرح حىٍّ لتقرُّب الإنسان إلى غيره، ونبذ العنصريَّة، وصُوَر الاستعلاء العرقىِّ بين الأجناس.

ومن هذا المنطلق، تأتى أهميَّة الوقوف عند شخصيَّة فريدة من رجالات الدَّعوة الإسلاميَّة ممن حملوا اللَّقب الشَّرقى «الحاجّ» بجدارة إن شاء الله، ويصحُّ أن نُلصِق عليهم طابعاً يحمل «صُنِع فى مكّة»، وذلك بفعل التَّجربة الإيمانيَّة الخصبة التى عايشوها فى الحجِّ، تجربة لا نبالغ إنْ قلنا: إنَّها أحدثت فى حياتهم وسلوكهم تغييراً لم يُبقِ على شخوصهم السَّابقة إلّا اللَّحم والدَّم، فكأنَّ الحج آلة عجيبةٌ فى «صنع» البشر يخرج منها الحاج «كيوم ولدَتْه أمُّه».

تلك الشخصيَّة هى الحاج مالك شباز (مالكولم إكس سابقاً) «شهيد الإسلام الأوَّل فى أمريكا» (۱)، الذى تمثِّل قصَّة حياته رحلةً طريفة فى الانتقال إلى «الآخر»، والتعرُّف عليه، ونبذ الفوارق العرقيَّة

۱- هذا من إطلاق على صديقى فى ورقة قدمها فى سمنار جماعة المسلمين فى دنفير الأمريكية بمناسبة أسبوع تاريخ السود عام ۱۹۸۸، بعنوان:

.Malcolm X: martyr Of in Islam America, janaat, al- Muslimeen, Baltimore, ۱۹۸۸, USA

ص: ۱۸۸

لصالح الأخوَّة الـدينيَّة، رحلة وضـعتْ خطاً فاصلًا بين مشـهدَين متضادَّين من حياة صاحبها، مشـهدٌ أوَّل هو الصِّراع بين الرَّجل الأسوَد والأبيض، منطِقه «اللَّامساس» وحوارهُ «فإنَّهم عـدوٌّ لی». أما المشـهد الآخر، فمنطقه منطق الانفتاح والأخوَّة، حتی لكأنَّ البطل الـذی ظهر فی المشهد الأوَّل قد استُبدِل بإنسان آخر مختلف عنه فی جميع المواصفات النفسيَّة والسلوكيَّة.

استجلاءً لهـذا الفعـل التغييریِّ فی حيـاة الحـاج مالـک شـباز، فقـد ارتأينا عرض حياته بصورة إجماليَّة، مع الوقوف عنـد مرحلـة الحج لاسـتخلاص الـدُّروس والعِبَر فی سـيرة حياته المطبوعة، آملين أن تنفع فی إقامة الحجَّة لنا فی روح الأخوَّة فی الإسـلام، وفی اضـطلاع شعائره بتأمين السَّلام العالمی،

ص: ۱۸۹

وفى تهذيب الإسلام لأتباعه، وجعلهِم «رُسَل سلام» إلى أقوامهم ومجتمعاتهم، لا «تماثيل سلام» خرساء!

من جانب آخر، فإنّ من الأجدر بالمسلمين اليوم،- خاصَّةً- فى ديار الغرب، ونحن فى خضمٍّ حملات التفريق فى الصف الإسلاميِّ، وحملات تشويه صورة الإسلام، تمثُّل تلك القِيم والرُّؤى الانفتاحيَّة على إخوانهم فى ديار الإسلام، تلك الرُّؤى التى انتهجها الحاج مالك شباز وأمثاله، حتى يبقى العُود الإسلاميُّ عوداً واحداً قويّاً يستحيل على الأعداء معالجته وكسره، وحتى تبقى تلك المنارات الإسلامية وهَّاجة، وشاهدة على الغرب، والشعوب الأخرى، فى عقر ديارها بأنَّ الإسلام دينُ التَّسامح والوسطيَّة، وأنَّه العلاج الشافى لأمراضهم الاجتماعيَّة.

أوَّلًا: الإسلام فى أمريكا والإطار الاجتماعى والدينى

إذا كان جلُّ المؤرِّخين يقفون ببداية تاريخ أمريكا بالملاح كريستوف كولومبس (۱۵۴۱ -۶۰۵۱)، فإنَّ الحقائق التاريخيَّة المتضافرة قد برهنتْ على أنَّ كولومبس

ص: ١٩٠

مسبوقٌ إلى اكتشاف أمريكا من قِبل المسلمين الإسبان المهاجرين، بل إنَّ كولومبس قد استعان بخرائط أولئك ومعلوماتهم فى الإبحار إلى الشاطىء الأمريكى (١).

أما فى الجانب الأفريقى، فإنَّ المؤرخ المسلم ابن فضل العمرى (صاحب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) قد أورد فى كتابه ذِكر الملك أبى بكر سلطان مالى عام (١٣١٢ م) الذى أبحر من شواطىء المحيط الأطلسى فى غرب أفريقيا إلى خليج مكسيكو الأمريكيَّة (٢).وتوجد مساندةٌ قويَّة لهذه الرِّواية لدى البرفسور

WienerLeo

بجامعة هارفرد فى دراساته عن أفريقيا واكتشاف أمريكا، إذ استعان بالعلاقات اللغويَّة الوظيفيَّة بين بعض لغات غرب أفريقيا ولغات السُّكان المحلِّيين فى الشاطىء الآخر عند خليج مكسيكو. كما برهن الباحث Ivan V .Sertima بجامعة Rutgers

---

١- عبدالله أحمد الدارى، الوجود الإسلامى فى الولايات المتحدة الأمريكيَّة، جدة: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ١٤٠٣ ه-، ص ١٢.

٢- Sulaymam S. Nyang, Ialam in the United States Of America, Chicago: ABC International Group Inc. ١٩٩٩ , P ١٢.

ص: ۱۹۱

نيوجرسى بدراساته المستفيضة على وجود سكان أفارقة معظمهم مسلمون فى أمريكا قبل اكتشاف كولومبس للقارة الأمريكيَّة (۱). وقد أورد هؤلاء الباحثون كثيراً من القرائن والمرويَّات والوثائق التاريخية الدالَّة على أنَّ الإسلام قد حلَّ بالديار الأمريكيَّة منذ أن وطىء العبيد الأوائل تلك الأراضى، وظلَّ بينهم- بشكل أو بآخر- حتى ورثها الأجيالُ اللَّاحقة على الرغم من الاضطهاد، وحملات محو الهويَّة، وإرغام المسلمين على تغيير دينهم، وأسمائهم، والتَّفريق بين الأسر والقبائل .. هذا، وقد عُرِف فى تاريخ السُّود بأمريكا علماء مَّمن وصلوا أمريكا فى غضون ۱۷۳۰، وفاجأوا

۱- وضع هذا الباحث كتاباً شهيراً بعنوان: «لقد أتوا إلى هنا قبل كولومبس They Came here before Columbus» عام ۱۹۷۶ م، وقد أثار هذا الكتاب جدلًا فى الأوساط الأكاديميَّة بمعلوماته وآرائه الجديدة المثيرة. ومن جانب آخر، فإنَّ Alex Haley صاحب السيرة الذاتية «الجذور» الذى أكَّد فيها على أصوله الإسلاميَّة فى غامبيا، قد استطاع أن يبرهن على صدق دعواه، وتتبَّع القرائن التاريخيَّة حتى وصل إلى قريته على ضفاف نهر السنغال. هذا، وتاريخ العبيد المسلمين فى البرازيل وقوَّتهم فى الصمود وقيادتهم انتفاضات مسلَّحة ضد «الأسياد» المسترقين ۱۸۳۵ مشهور.

ص: ۱۹۲

الأمريكيِّين بمستواهم المعرفيّ، واستعان الباحثون ببعضهم فى ترجمة بعض الوثائق، من أولئك: يارو محمد، وجوب بن سليمان، والأمين جاى، والشيخ محمود بقاقا، ومحمد على بن سعيد، وأيوب بن سليمان ديالو، وعبدالرحمن (۱).

وعلى الرغم من إلغاء الرِّق، وتجارة العبيد والتَّلويح بشعارات الحريَّة والديمقراطيَّة بعد الحرب الأهليَّة الأمريكيَّة (۱۸۶۱ ۱۸۶۵)، فإنَّ وضع السود الاجتماعى فى الولايات المتحدة الأمريكيَّة خاصَّة فى ولايات الشَّمال، لم يطرأ عليه تحسُّن ملموس، حيث فرض عليهم حظر التَّجوُّل بعد الغروب فى بعض المدن، ومُنعوا من دخول المطاعم، وركوب سيارات النَّقل الجماعى، وحرِموا من الخدمات الطبيَّة فى المستشفيات، وفُصِل بينهم وبين البيض فى الكنائس، والملاهى .. وقد كانت أيَّة معارضة أو احتجاج على هذا الوضع، أو المناداة إلى المساواة تؤدّى بالمعارض

۱- The Muslim Almanac ,P ۱۴۸ .

ص: ۱۹۳

إلى السجن، أو القتل أو أىّ شكل من أشكال التخويف على أيدى العصابات العنصريَّة التى أسَّسها البيض، والتى كانت تمارس أعمال العنف على مرأى ومسمع من الشرطة.

نتيجةً لهذه الحالة، شهدت بدايات القرن العشرين نشأة الكثير من الحركات القوميَّة فى أمريكا خاصَّة بين السُّود، مثل حركة SKIE

، وجماعة Aipha Phi Aipha ، وتراوحت تلك الحركات بين متطرِّفة ضدَّ البيض، وأخرى معتدلة خاصَّة لدى الطّبقة المثقَّفة. كما تراوحت المرجعيَّات الفكريَّة لتلك الحركات بين علمانيَّة، ووثنيَّة، وإسلاميَّة ومسيحيَّة، وإنْ كان الغالب على معظمها المزجُ بين تلك المرجعيَّات الدينيَّة.

أُولى تلك الحركات حركة مرقس غارفى Marcus Garvey التى أطلق عليها «الرابطة العالميَّة لترقية الجنس الأسود Universal Negro Improvement Associatation» التى نشطت منذ عام ۱۹۱۶، وهى حركة سياسيَّة اجتماعيَّة، دعا السُّود إلى تحرير أنفسهم من الظُّلم الاجتماعىِّ. قويت حركتُه لكنها انحلت بعد

ص: ۱۹۴

نفى مرقس من الولايات المتحدة.

وثانيتها حركة «الهيكل المغربى المقدّس للعلوم Moorish Holy Science Temple»، التى أسّسها الكاريبى تيموثى درو (۱۸۸۶- ۱۹۲۹)Thinothy Drew فى مدينة Newarkبولاية جيرسى. وتسمّى فيما بعد بالشريف درو على، رافعاً نسبه إلى الأشراف بالمملكة المغربية، زاعماً أنّ أصل السّود فى الولايات المتحدة من آسيا، وأنّهم ينحدرون من قبيلة كانت تسكن مكّة وتُدعى «شَباز»

(۱). كانت دعوته خليطاً من المعتقدات الدِّينية الشرقيّة والمبادىء الاجتماعيَّة، دعا السُّود إلى الارتداد عن المسيحيَّة واعتبرها دين البيض الآريِّين، وأمرهَم باعتناق الإسلام باعتباره ديانة أجدادهم الأصليَّة. كمّا دعا إلى انفصال السُّود عن البيض فى ولاية خاصَّة بهم داخل الولايات المتَّحدة، واسم خاصٍّ يحملونه (۲).

۱- Yvonne Yazbeck Haddad, The Muslims of America, p ۵۵.

۲- كان يضيف على أسماء الأتباع البادئة «ال-» أو «بيه» إشعاراً بأصولهم الآسيوية، وقد ظهرت نفس الممارسة عند محمد غارفى فى إعطاء أسماء شرقيَّة لأتباعه زعم أنّها توحى إليه، وأنَّ ما يعطى لأيِّ شخص من اسم، فإنّما هو اسمه الحقيقى. كما ظهرت الممارسة نفسها عند إليجا محمد، بإضافته اللاحقة «X» إلى أسماء أتباعه، إشارةً إلى أسمائهم الأصليَّة غير المعلومة. وعلى كل، فإنَّ هذه الممارسة صورةٌ من الرَّفض لثقافة البيض والاندماج فيهم، ووسيلة لاستعادة الهويَّة المفقودة لدى السُّود فى أمريكا.

ص: ۱۹۵

ادَّعى الشريف درو على النبوَّة، وكتب كتيِّباً سماه (القرآن المقدس)، وهو- كما يصفه جاك كونراى- «مزجٌ غريبٌ لآيات القرآن الكريم، وجُمل من الكتاب المقدس، وكلمات مرقس غارفى، وقصص حول حياة يسوع، يربط هذه العناصر كلها بياناتٌ وتفسيرات المتنبى (درو على)» (۱). وقد لاقت دعوة درو على قبولًا موسَّعاً، وراقت أذواق الطَّبقة الكادحة من السُّود فى أوائل القرن العشرين، وكانت لها هياكل ومعابد نشطة فى ديترويت، وشيكاغو، ونيويورك، وغيرها من الولايات فى أمريكا، وراجت عقائد الطائفة بسرعة وقوِيت حتى وفاة المؤسس ۱۹۲۹. وعلى الرغم من الانحرافات الواضحة فى تعاليم درو على وبُعدها عن الإسلام الصحيح، ومزجها بين الشَّعائر والعقائد الإسلاميَّة

۱- دينس ووقر، «الإسلام بين الأرقاء السود فى شمال أمريكا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر»، مجلة مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، باكستان، مج ۱۴، عدد ۴، ص ۴۴ ۳۳.

ص: ۱۹۶

والمسيحيَّة، فإنَّها تعتبر الواجهة الأولی التی أيقظت فی الأمريكيّين السُّود الشعور بالاعتزاز بهويَّتهم، وتقوية الوعی بضرورة العودة إلی الإسلام، والارتباط بأرض أفريقيا وآسيا.

ثالثة تلك الحركات حركة «أمَّة الإسلام» التی ظهرت فی غضون (۱۹۳۹) علی يد والاس فارد محمد، فی أحياء ديترويت الشعبيَّة، وكان بائعاً متجوّلًا يتاجر فی الأقمشة والملابس. بدأ دعوته بالانخراط فی الاسَر، وتذكير السُّود بأصولهم الأفريقيَّة، مؤكِّداً لهم أنَّه جاءهم ليحملهم علی «اكتشاف الذَّات». بعد كسبه لجماعة وتأسيس منظمته، وخروجه من الدَّعوة السريَّة، أسَّس مدارس للبنين والبنات، وأنشأ مؤسَّسات تجاريَّة، ومعامل خاصَّة للسُّود.

بحلول عام

۱۹۳۴

، اختفی فارد محمد فجأةً، وكان قد أوكل أمر الحركة إلی روبرت (إليجا) بول (۱۹۷۵ ۱۸۷۵) Elijah poole فكان أوَّل ما قام به إليجا ادِّعاء الألوهيَّة لفارد محمد، وادِّعاء النبوَّة

ص: ۱۹۷

والرسالهٔ لنفسه (۱)، وسمی الحرکهٔ «أمَّهٔ الإسلام المفقودهٔ- الموجود فی مجاهل أمریکا الشمالیهٔ»

The Lost- found Nationof IsLam in the wilderness of North America

وزعم بأن الرَّجل الأبیض هو الشَّیطان نفسُه المذکور فی الکتب السماویَّهٔ. ونشط فی تأسیس أماکن عبادهٔ لأتباعه وسماها «معابد/ هیاکل Temples»، ولم یکن فرق کبیر بینها وبین الکنائس. کما طوَّر المؤسَّسات التجاریَّهٔ والمصانع، وأغری البسطاء بالوعود الإلهیَّهٔ للجنس الأسَود (۲).

عرفت حرکهٔ إلیجا محمد عصرها الذَّهبی أیام الحاج مالک شباز، ولما توفی إلیجا محمد، تولَّی زعامهٔ الحرکهٔ ابنه والاس (وارث الدین) الذی أدخل تصحیحات جذریَّهٔ فی تنظیم الحرکهٔ وفی تعالیمها، حیث أبطل دعاوی أبیه التحریفیَّهٔ، وأعلن عن اتِّباعه لمنهج أهل السُّنهٔ والجماعهٔ فی الاعتقاد والعمل، هذا، وقد انفصلت عن والاس

۱- Lincoln Chartes Eric, The Black Muslim in the Unired States, P ۱۷۵.

۲- Ibid ,P ۱۳۵ ۱۳۶ .

ص: ۱۹۸

جماعهٌ بزعامهٔ لویس فرخان، ملتزمهً بالدَّعاوی القدیمهٔ، وبالإیمان بنبوَّهٔ إلیجا محمد وتعالیمه وعقائده الباطلهٔ.

ومهما یکن من مآخذ علی هذا التنظیم فی عهده الأوَّل، فإنَّ من الملامح الإیجابیَّهٔ فیه قوَّهٔ الجانب الرُّوحی، ونجاحه فی شحن الأتباع بدینامیَّهٔ التَّطهیر الذاتی، والتمسک بالهویَّهٔ، والاحتراز المفرط من الذَّوبان فی الثقافهٔ الأمریکیَّهٔ.

ثانیاً: مالکولم، المولد والنَّشأهٔ

وُلِد مالکولم لیتْل بتاریخ

۱۹

مایو ۱۹۲۵ فی أوماها ولایهٔ نبراسکا. والده ((Earl Little. j من موالید جورجیا، ووالدته ((Lousie Norton، نازحهٔ من بلاد جزر الکاریبی. وهو الابن الرابع من بین سبعهٔ أبناء رزِقت بهم «لُوِسا» (۱)، وله ثلاثهٔ إخوهٔ آخرین من أبیه رُزِق بهم فی زواجه الأوَّل قبل زواجه ب- «لویسا» أمِ

۱- هم بالترتیب: ویلفرید Wilfred ، وهیلدَا Hilds ، وفیلبیر Philbert ، ومالکولم Malcolm وریجینا Regina ، وویسلی Wesley .

ص: ۱۹۹

مالك (۱). وقد صادف مولد (مالكولم) وصباه تصاعد الأزمة العنصريَّة، واضطهاد السُّود فى الولايات المتحدة، وكان صباه مهدَّد بشبح العنصريَّة البيضاء ضد السُّود فى الولايات الشَّمالية، وضدَّ أتباع حركة مرقس غارفى التى كانت أسرته زعيمة إحدى تجمُّعاتها؛ إذْ كان أبوه داعية (غارفى) مشهور، حاز اللَّقب الشَّرفى «الكاهن/

Reverend

» كما حاز لقب «الرَّشيد/ Elder » لتزعُّمه الطائفة الغارفيَّة بأوماها، ونشاطه فى تنظيم أمورها، وإلقاء الخطب.

يتَّضح من سيرة حياة (مالكولم) وتصريحات إخوانه أن الإيديولوجيَّة الغارفيَّة وتعاليمها كانت الموجه لحياة الأسرة، وسلوك أفرادها، فإضافةً إلى تزعُّم الأب للطائفة الغارفيَّة، وكون الأم محرِّرة لأخبار الجماعة ونشر تعاليمها فى بعض الصُّحف، حرص كلٌّ منهما على تلقين الأبناء

۱- كان زواج مالكولم إكس فى تاريخ۱۴ يناير۱۹۸۵ ، بالأخت بيتِىBetty X ، وكانت مثله أفريقيَّة أمريكيَّة، وتابعة لجماعة أمَّة الإسلام، ورزقت منه بستِّ بنات هن: ۱۹۵۸ Malaaka ، ۱۹۶۵ Amilah، ۱۹۶۴ Ilyash، ۱۹۶۲ Qubilah، ۱۹۶۰ Attelah، Malikah وهما توأمتان وُلدتا بأشهر بعد اغتياله.

ص: ۲۰۰

مبادىء الحركـة، فكان الوالد يصـطحب مالكولم وأخوَيه إلى المعبد حيث يلقى الخطب، ويلقّن الأتباع تعاليم الطائفة. أما الأمُّ، فكانت إذا اجتمعت الأسـرة حول النـار بعـد العَشاء، تحكى للأطفال عن ماضـى أجـدادهم السُّود العريق، وتنفث فيهم روح الاعتزاز بعنصـرهم الأسود (۱).

ولا شكَّ أن هذا الجوَّ النِّضالى الذى تفتَّح فيه (مالكولم) على الحياة، قد انطبع على تفكيره، ووجَّه الكثيرَ من تحرُّكاته وتصرُّفاته خلال مختلف مراحل حياته. وإذا أخذنا فى الحسبان الوسطَ العامَّ فى مدينة

Lansing

، والأسر الأخرى فى مجتمع السُّود،

۱- يوكِّد مالكولم وإخوته أنَّ والـدتهم حرصت على زرع الروح النقـديَّة فى نفوسـهم منـذ نعومة أظفارهم، ولـم يكن لها انتماء محدَّد إلى دين على الرغم من اتِّباعهـا التـام لتعاليم الحركـة الغارقيَّة وبرنامجها الغـذائى، يقول ويلفرد شـباز أخو مالكولم الأكبر: «كانت تقرأ علينا الإنجيل، ونناقشـها معاً، لكن أمى كانت تصـطحبنا دائماً إلى مكان مختلف، كانت تأخـذنا إلى الكنيسـة المعمدانية؛ لاعتقادها أن لكل واحد من المذاهب الدِّينية المختلفة شـيئاً ينبغى عليها اكتشافه .. كانت تأخذنا إلى شـهود يهوه. وكانت تأخذنا كذلكإلى كنيسة المعمـدان ... وفى ظلِّ هـذا المنـاخ من الحركـات والطوائف الـدينيَّة المتعـدِّدة إلى جـانب المسـيحيَّة التقليـديَّة نشـأ مالكولم وإخوته، تشـجعهم الأم على دراسـة الأديان، ولكن دون الانخراط فى دين معيَّن أو التَّعصب له على حساب الأديان الأخرى، وقـد ظهر أثر هـذه التربية جلياً فى مالكولم وإخوته، واهتمامهم بالمناقشات الدينية ۵۰۵۱ On the Side of my People ,p

ص: ۲۰۱

أدرکنا مدی الأثر الأیدیولوجی الذی کان تربهً خصبهً لنماء الوعی القومیّ والدینی لدی جیل مالکولم من أبناء الأمریکیّین السُّود. ومن الأحداث التی شحذت نفسیَّهٔ مالکولم وحفرت فی ذاکرته أسی دفیناً، وکراهیَّهً للبیض منذ نعومهٔ أظفاره، ما رواه فی سیرته عن حادثهٔ إحراق منزل أسرته علی ید عصابهٔ «کو کلوس کلان» العنصریَّهٔ فی أوماها (۱). حیث أتی رجال مقنَّعون ذات لیلهٔ؛ فکسَّروا النوافذ، وأشعلوا النار فی المنزل، وأطلقوا عبارات عنصریَّهٔ، وطالَبوا الأسرهٔ بالهجرهٔ من بین أظهُرهم. وقد لخص مالکولم هذه الحالهٔ بقوله: إن

---

۱ - Ku Klux Klan عصابهٔ عنصریَّهٔ إرهابیَّهٔ سریَّهٔ، تأسست منذ عام ۱۸۶۵ بعد الحرب الأهلیهٔ الأمریکیهٔ، فی ولایهٔ تینیسی Tennessee، لمحاربهٔ الجنوبیین الجمهوریین من البیض، وجمیع «الملوَّنیین» فی الولایات المتحدهٔ الأمریکیَّهٔ، ومعارضهٔ انتقالهم أو سکناهم فی بعض المدن والأحیاء، وتقوم العصابهٔ بهجومات منتظمهٔ علی الیهود والسود بکسر نوافذ بیوتهم، أو إحراقها، وإتلاف ممتلکاتهم، وربما الاعتداء علیهم بالقتل، وممارسهٔ صُور الاستفزاز والتخویف. ولا تزال تلک العصابهٔ نشطهٔ بأشکال وهیئات متعدِّدهٔ حتی وقتنا الحاضر.

ص: ۲۰۲

مولدَه وصباه کان فی الرُّعب والخوف (۱).

والأمرُّ أنَّه حین أشعل البیض النار فی المنزل، وهرعت الأسرة للنجاة بنفسها، یقول مالکولم: «جاء رجال الإطفاء والبولیس البیض، ووقفوا یتفرَّجون علی المنزل المشتعل إلی أنْ أتت النار علی المنزل بأکمله»!

وفی عام

۱۹۳۱

حین کان مالکولم فی سن السَّادسة تفاقمت المأساة حین عُثِر علی جثة والده طریحاً علی سکة حدیدیَّة، وکان تقریر البولیس أنَّ قطاراً صدمه، بینما أصرَّ مجتمع السُّود أنَّه ضُرِب وجُرح قبل أن یلقی تحت عجلات القطار .. یقول مالکولم: «کنت فی السادسة من عمری آنذاک، لکنَّنی کنت قبلُ قد تعلَّمت أنَّ کون الإنسان أسودَ فی هذا البلد مثار مشاکل» ((۲)).

بعد موت عائل الأسرة وکاسبِها، ظلَّت الأمُّ تجاهد وتکدُّ لتربیة الأطفال وتأمین حاجاتهم، لکن المناخ العنصریَّ لم یکن

۱- Malcolm X Speaks ,p ۱۳۵ .

۲- DeCaro ,On the Side of my People ,p ۴۷

ص: ۲۰۳

ليرحم الأرملة المغلوبة وأيتامها الصِّغار، فلم يكن من اليسير الحصول على عمل منزلى لدى البيض، ولم ينفع إيقاف أخوَى مالكولم الحدَثَين الدِّراسة ومساعدة الأمّ فى طلب لقمة العيش، ومع تزايُد وطأة الفقر، والمطالب الماليَّة كانت الأم تشعر من يوم لآخر بحدَّة النفس، وزيادة القلق على مصيرها وعلى مصير أبنائها.

هذا، وقد زادت استفزازات الجيران البيض للأسرة فى حدَّة نفس الأم، حتى وصَموها بالاضطراب النفسىِّ، ومن هنا تدخَّلت جمعيات الرعاية الاجتماعيَّة، لأخذ الأطفال وتوزيعهم على مراكز رعاية الأطفال؛ فكان ردُّ الأمِّ الرفض القطعى لهذا التفريق بينها وبين أبنائها، ولم يزل رجال الرعاية بنفوذهم الحكومى حتى انتزعوا منها أبناءها، وكان ذلك إيذاناً باضطراب نفسىٍّ محقَّق للمرأة، أدخِلت بعدها فى مصحَّة نفسيَّة وظلتَّ بها أكثر من عشرين عاماً.

بعد أن تفرَّق الأطفال أيدى سبأ بين مراكز رعاية الأطفال، وُكِّل مالكولم إلى أسرة أفريقيَّة أمريكيَّة، ومن ثم إلى مركز لرعاية الأحداث فى ميشغان، ولم يرُقه

ص: ۲۰۴

المكـان بـأىِّ حـال؛ إذ كـان هو الأـسودَ الوحيـدَ بين الأطفال البيض، وكان بعض المربين البيض يسـتفزُّونه بتعليقات عنصـريَّة متكررة، وكان سـبب خروجه من إحدى تلك المراكز، وهروبه من الدِّراسة سـخرية أحد المرِّبين منه حين ذكر له مالكولم أنَّ أمنيته أن يصـبح محامياً، فنصحه المعلِّم بأن يختار مهنة النِّجارة؛ لأنَّ المحاماة لا تنسجم واقعاً مع «زنجى».

انتقل مالكولم بعد ذلك إلى السَّيدة «إيلَا»

Ella

، وهى أخته من أبيه، وقد كانت سيِّدةً فاضلةً محترمة، قال عنها مالكولم: إنَّها أول امرأة سوداء رأى فيها الفضل والثِّقة والاعتزاز بنفسها .. قامت هـذه المرأة بدور فعَّال فى مساندة مالكولم فى شتى مراحل حياته، وكان أكبر تلك المواقف إمدادها إيَّاه بالمال لأداء فريضـة الحجِّ مما كان له الأثر المباشر فى التغيير الجذرىِّ فى حياة مالكولم وفكره، وحركته الدينية.

ص: ۲۰۵

وفى شوارع ديترويت، اجتمع مالكولم ليتل بمجموعة من الشباب السُّود المتسكِّعين فى البارات، وعلى أبواب المتاجر، وفى الأزقَّة المظلمة، وكان من أهمِّ أنشطتهم بيع المواد المختلفة من أحزمة، ومناديل يد، وسجائر، وعطور، ومسح أحذية ... كانت تلك المهن الشَّريفة لديهم، لأنَّ النشاط الفعليَّ لدى بعضهم كان فى تهريب المخدرات، والسَّطو على المنازل، والسَّمسرة بين البغايا وزبائنهن.

سرعان ما انخرط مالكولم عملياً ونفسياً فى هذا المجتمع، وحاز لقب «أحمر ديترويت Detroit Red»؛ فبدأ يلبس على طريقة ال– «هيبْ»: بذلة طويلة، حزام ضيِّق، وقبَّعة ذات ريش طويلة، وصبغ الشَّعر باليود الملوَّن والمليِّن، وتدخين الأفيون .. وبالجملة، كان مالكولم «قد فقد– كليّاً– شعورهَ بهويّته، وفقَدَ

ص: ۲۰۶

الشُّعور بذاته» (۱). ووصَف مـالکولم تلـک الحالـهٔ التی ألجأت الآلاف من أمثاله من السُّود إلی مثل هـذا العیش والتردی بقوله: «حین تنخرط فی مجتمع الغیتو، مثلما کنتُ أنا، فإنَّک تدخل فی عالَم الوحوش، ویصبح البقاء للأقوی قانوناً محتوماً» (۲).

تعـدَّدت نشاطات مالکولم غیر القانونیَّهٔ حین عمله خادماً فی إحـدی المراقص الصَّاخبـهٔ فی حیٍّ هارلْم؛ حیث کان المکان ملتقی تجار الأفیون، ولاعبی «الحظ»، وسماسرهٔ البغایا، وعصابات السَّطو علی المحلات التجاریَّهٔ، وهکـذا وجـد مالکولم نفسَه منجرفاً فی تجارهٔ الأفیون التی درَّت علیه الأرباح الطائلهٔ .. «ظللتُ أضاعِف أرباحی، وبضاعتی، وقلَّما کنت أنام .. کانت فی جیبی رزمهٔ ضخمهٔ من المال ..» (۳). وقوِیت شوکـهُ مـالکولم حتی کوَّن عصابـهٔ إجرامیَّهٔ للسَّطو علی البیوت وسـرقهٔ المجوهرات، تألَّفت تلک العصابـهٔ من صـدیقهٔ «شُورْتی»، ورفیق

۱- Malcolm X ,Autobiography ,p ۵۴ .

۲- Ibid ,p ۱۰۲

۳- Ibid ,p ۹۹

ص: ۲۰۷

آخر، ومن بِنتَین بیضاوَتین: صوفیا وأختها.

وعلی الرغم من وصف مالکولم هذه الفترهٔ بحیاهٔ «الأوحال»، فإنَّ ما یُحمد لهذه الفترهٔ فی حیاهٔ مالکولم تعمیقه لخبرته بحیاهٔ عامَّهٔ الناس، ووقوفه- فی کلِّ دقیقهٔ من تلک التَّجربهٔ- علی جروح المجتمع الدَّامیهٔ، من تشرُّد، وبطالهٔ، وظلم، وشقاوهٔ، وسرقهٔ، ودعارهٔ، وسطو علی الأبریاء، واحتیال، وإدمان مخدرات، وکل ما یتَّصل بذلک من أدواء اجتماعیَّهٔ، یقول مالکولم: «کان أکبر زبائنی المبشِّرون، وزعماء الحرکات الاجتماعیَّهٔ، ورجال الشُّرطهٔ، ومختلف المسؤولین عن حیاهٔ الآخرین ومصیرهم» (۱).

ولا- شکَّ أن هذه التَّجربهٔ الحیَّهٔ کان لها أثرها القویُّ فی حدَّهٔ حساسیَّهٔ مالکولم لعلاج تلک الأدواء، وفی تعمیق معرفته بنفسیَّات «المرضی» و «الضَّحایا» و «الذِّئاب» ومعرفته للدَّواء المناسب لکل حالهٔ.

۱- Lomax E .Louis ,When the Word is Given ,p ۵۰.

ص: ٢٠٨

ثالثاً: السِّجن والاهتداء إلى الإسلام

ألقى القبض على (مالكولم إكس)، وهو فى الواحد والعشرين من عمره، بعد محاولته إصلاح ساعة يد ثمينة سرقها من أحد البيوت، وحُوكم وادين بتهمة السَّطو المسلَّح على المنازل، والحيازة غير القانونيَّة للسِّلاح النارى، وزُجَّ به فى سجن شارلستون عام ١٩٤٦

لقضاء عشر سنوات، فكانت تلك الحادثة كفيلةً لأنْ يعود (مالكولم) إلى نفسه ويثوب بعض الشىء، ويحدِّث نفسَه عن أحوال بنى جلدَته السُّود، ووضعِهم فى المجتمع الأمريكيِّ العنصرىِّ. بل إن (مالكولم)- وإنْ كان يعترف بجُرمه- رأى أن شدَّة العقوبة لم تكن بفداحة الجُرم بقدر ما كانت بسبب عشرته للبنت البيضاء، صوفيا وأختها، وإشراكه إيَّاهما فى عمليَّات السرقة مما أثار ثائرة القاضى عليه. وقد صرَّح القاضى لمالكولم بذلك لدى إسماعه إيَّاه قرار المحكمة بقوله: «ليس لك فى بنات البيض سبيل، وسوف يلقِّنك هذا درساً فى الابتعاد عنهن»!

وعلى كلٍّ، فإن مبادرة عائلة

ص: ٢٠٩

(مالكولم)، ودعوتهم إيَّاه إلى «التَّوجُّه إلى القبلة والصَّلاة لله» جاءت في أوانها حين بدأ مالكولم يشعُر أنَّه بحقٍّ رهينُ محبَسَين: سجن جسدي، وسجن روحيٍّ، فكانت دعوة إليجا هي المخرج لانتشاله- أوَّلًا- من أشدِّ السِّجنَين، ألا وهو السِّجن الرُّوحي.

بقي (مالكولم) في سجن «نورفولك» حتى مارس ١٩٥٠ حين حُوِّل مرَّة أخرى إلى سجن شارلستون بتهمة العصيان، ولكن السَّبب الحقيقيَّ وراء هذا التَّحويل كان للحدِّ من تأثير (مالكولم) على السجناء، وقد جاء في تقرير السِّجن ما يؤكِّد ذلك إذ قيل عنه: «مراسلاته ترتكز على العقيدة الإسلاميَّة، وعلى الكُره الشَّديد للجنس الأبيض» (١).

بالعكس، لم يحد هذا التَّحويل من نشاط (مالكولم) الدَّعوي، بل استمال إلى الإسلام زمرةً من رفاقه كالأخوَين: أسبورن ولوروي Osborne LeRoy، والأخ مالكولم جارفيس Jarvis ، وقد كان تصرُّف تلك العصبة من السُّجناء ملفتاً للنَّظر والاهتمام منذ

١- DeCaro ,On the Side of my People ,p ٩٠

ص: ۲۱۰

عهدها الأوَّل بسجن شارلستون، حيث طالب هؤلاء إدارة السِّجن بأن تكون وجباتهم اليوميَّة حسب النِّظام الغذائى الذى وضعه إليجا محمد، وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير، وطالبوا بأن يوضعوا فى زنزانات مواجهة للقبلة.

من جانب آخر، فإن (مالكولم) قد ألفت إليه الأنظار بملَكته الخطابيَّة، فكان يناظر الأساقفة الزَّائرين للسجن، ويبهتهم بملاحظاته، ويحرجهم باعتراضاته الكثيرة على الإنجيل، مثل اعتراضه على الصُّورة النمطيَّة التقليديَّة للمسيح حيث يُصوِّره البيض بعيون زرقاء، وشعر ذهبى، وبِشرة بيضاء .. فقد أفحم (مالكولم) مناظريه بأنَّ المسيح كان أسوَد ملوَّناً، أو على الأقلِّ، كان من شعوب الشَّرق الأوسط، لا مِن الجنس الآرى (۱).

وهكذا، لم يكن (مالكولم) يدع فرصةً إلّا ويصدع فيها بإسلامه، ويعلن عما يراه الحقَّ. وظهرت بوادر شخصيَّته القويَّة منذ

۱- Ibid ,p ۹۱

ص: ۲۱۱

مكثه في السِّجن، ووقوفه في خندق المظلومين. ففي أبريل

۱۹۵۰

، كتب إلى مفوّض السجن السيد ماكدويل McDowell خطاباً حادَّ اللَّهجة دفاعاً عن أخ مسلم أودع زنزانةً منعزلة بسجن نورفيلك. ابتدأ (مالكولم) خطابه بقوله: «بسم الله العليم الحكيم، الحق الحيِّ، وباسم نبيِّه المقدس .. السيد إليجا محمد ... (!!)» (۱). وأثقل الخطاب بالوعيد للكفرة والظالمين، وندَّد بالذين يظلمون الناس لا لذنب إلَّا لأنَّهم يصلون مستقبلين الشَّرق (القبلة). وكتب مرَّة أخرى خطاب احتجاج إلى المفوض نفسه، يندِّد فيه بأحد الموظفين الذين منعوا أحد المسلمين من الانخراط في برنامج محو الأميَّة، ولم يفت (مالكولم) في ذلك الخطاب أن يسخر من حالة التَّردي الخلقيِّ في السِّجن حيث يحظى «اللُّواط» بما يسهِّل لهم شذوذهم، ويُمنع المسلمون المنضبطون من حقوقهم الطبيعيَّة.

إجمالًا، يمكن القول: إنَّ مرحلة السِّجن كانت السَّانحة التي استغلَّها (مالكولم)

۱- Ibid ,p ۹۲

ص: ۲۱۲

أحسَن استغلال لتشکیل نفسه ثقافیاً وعلمیّاً؛ فأکبَّ علی مکتبة السجن الداخلیة، والتحق بفصول تکوینیَّة فی المراسلة، ومهارات التَّعبیر الکتابی، ونمَّی ذخیرته اللغویَّة بحفظ معجم لغویٍّ ضخم. أما من الناحیة الثَّقافیة، فقد عکف علی کتب التاریخ والحضارة الأفریقیَّة والأمریکیَّة، والفلسفات الشرقیَّة. کما نمَّی ملَکته الخطابیَّة بالانخراط فی فرقة الخطابة والمشارکة فی المناظرات.

وإلی جانب المطالعات الکثیرة، فإنَّ مالکولم قد وجد فی السِّجن بعض النُّزلاء ممَّن هم علی قدر عال من الثَّقافة والمعرفة، وتعلَّم منهم الکثیر، ومن أولئک الذین أشاد بهم فی سیرته الذَّاتیة، الشاب الأسوَد الذی أشار إلیه باسم

Bimbi

یقول عنه: «کان بیمبی یکسب کلَّ نقاش یخوضه، وکان الرَّجلَ الأوَّلَ الذی رأیتُه یفرِض احتراماً مطلقاً بکلامه». لکن بیمبی کان ملحداً، وکان تعلُّق مالکولم به بسبب حدیثه العمیق فی الأدیان، وقد سبق بنا أنَ

ص: ۲۱۳

والـدهٔ مالكولم قـد أرضـعته وإخوانه على التفتـح للمناقشات الدِينيـهٔ. وهكـذا، بالمطالعات الطّويلـهٔ، والتعلم الـذاتى، عالج مالكولم داءَ الجهل فى نفسه، لإدراكه أنَّ الجهل هو السَّبب الأساس فى سـلوكه الإجرامىِّ ... صـرَّح بهـذه الحقيقهٔ فى خطاب له إلى الضابط مأمور السـجن حين طلب التَّحويل إلى سـجن آخر، قال: «إن السـبب الأساس فى طلبى الانتقال إلى سجن نورفيلك رغبتى فى تثقيف نفسى، فالتَّسـهيلات التربويَّهٔ هنالـك غير موجودهٔ فى غيرهـا، فلو أنى كنت أكملتُ تعليمى لمـا كنت الآن قابعاً فى الحبس. إنَّنى اليوم أقضـى عشـر سـنوات جزاء جريمتى الأولى، إنَّ ذلك لا يجرح كثيراً .. لقـد أدركتُ خطئى منـذ أمـد بعيد، لأنَّه من المسـتبعَد أن يسـطو رجلٌ متعلِّمٌ على منازل الناس»

(۱).

ظلَّ «مالكولم» بهذا السِّجن حتى أغسطس ۱۹۵۲، حيث أطلق سراحُه، وانتقل بعد ذلك إلى ميشغان مع أخيه ويلفرد. Wilfredوعلى

۱- Letter from Malcolm little to Me. Dwyer, Norfolk peison Colony Transportation Board, ۲۸ July, ۱۹۴۷, PF.

ص: ۲۱۴

الرغم من عدم اجتماع (مالكولم) بقائده إليجا محمد وجهاً لوجه منذ إسلامه إلى خروجه من السِّجن (فى أغسطس ۱۹۵۲)

، فإنَّ العلاقة بين الرَّجلين كانت قد توطَّدت عبر المراسلات الأسبوعيَّة المنتظمة بينهما، استطاع إليجا محمد من خلالها أن يلقِّن (مالكولم) فلسفته الدِّينية، وأثبت (مالكولم) كذلك نجابته وإخلاصه وجدارته بحمل لواء حركة إليجا.

مالكولم إكس والانخراط فى (أمَّة الإسلام)

ما كاد المريد النَّبيه (مالكولم) يخرج من السِّجن، ويلحق بقائده، ويضيف إليجا على اسم مالكولم اللاحقة «إكس» (۱) إلّا وترقَّى فى سلك التَّنظيم، وشهدت الحركة كذلك- آنذاك- عصرها الذهبى وتطوُّرها المطَّرد فى عدد الأتباع، ونوعيَّة التنظيم.

وعلى سبيل المثال، فقد كان من عادة وزراء الحركة فى ديترويت أن يقصدوا

۱- فى الرياضيات، يُرمَز ب- X إلى قيمة غير محدَّدة. وكانت إضافته إلى أسماء المسلمين السود إشارةً إلى أسمائهم القبليَّة المفقودة بفعل الحملة الاستعباديَّة، وتعبيراً عن رفضهم للأسماء المعطاة لهم مِن قبَل أسيادهم البيض.

ص: ۲۱۵

مدینـهٔ شـیکاغو مقرَّ الحرکـهٔ العـام فی مناسـبهٔ الاحتفـال بعیـد الحرکـهٔ السـنویّ للاسـتماع إلی إلیجا، وکانت القافلـهٔ الأولی التی أقلَّت (مالکولم إکس) مع بقیَّهٔ وزراء الحرکـهٔ إلی شـیکاغو عام ۱۹۵۲ سـیارتَین. وما أن باشـر (مالکولم) عمَله فی الدَّعوهٔ للحرکهٔ، واستمالهٔ الأتباع الجـدد من أحیاء السُّود الفقیرهٔ (الغیتو)، ومن البارات، وزوایا الزِّقاق المظلمـهٔ، وعلی أبواب الکنائس، وفی تجمُّعات السُّود .. إلّا وتضاعف أتباع الحرکهٔ قبل أن یحول الحَوْل، فإذا (مالکولم) یحدو قافلهً من السَّیارات إلی شیکاغو عام ۱۹۵۳ مجموعها ۵۲. فلم یکن من القائد إلیجا محمد إلا المسارعهٔ فی تعیین (مالکولم) فی مرتبهٔ «وزیر کامل

Full Minister

» بالهیکل رقم ((۱، وهو الهیکل الأوَّل الذی أسَّسه المعلم فارْد محمد نفسُه.

ومنذ أن تفرَّغ (مالکولم) للعمل بحرکهٔ (أمَّهٔ الإسلام)، أصبح یقضی لیلَه ونهارَه فی تجنید الأتباع الجدد، وإقامهٔ المحاضرات، وتأسیس الهیاکل (المساجد) الجدیدهٔ، وکثُرت أسفاره من أدنی الولایات إلی

ص: ٢١۶

أقصاها، وأثمرتْ تلك الجهود الدعويَّة الجبارة، وشخصيَّة (مالكولم) المؤثِّرة في تضخُّم أتباع الحركة من حوالي ۴۰۰ عضو زمَن التحاق (مالكولم) بالحركة، إلى حوالي أربعين ألف عضو.

هذا، وكان من الملامح المميِّزة للحركة- قبل عهد مالكولم- تمركُزها على الطَّبقة الفقيرة من العُمال في المصانع، وسكان الأحياء الفقيرة المنعزلة، لكنْ بحلول عام ١٩٥٧، كانت حركة (أمَّة الإسلام) قد استهوت كثيراً من المثقَّفين والأكاديميِّين، ورجال الأعمال، ورجالات الفكر والأدب السُّود.

وبالمِثل، فإن المستوى الأيديولوجي للحركة فرض حضوره في المجتمع الثقافيِّ الأمريكي، وجعل مختلفَ الطَّوائف الدينيَّة والسياسيَّة والفكريَّة تعير (أمَّة الإسلام) وطروحات الوزير مالكولم اذناً صاغيةً، واعتباراً خاصاً. وفي تلك الفترة ((۶۰- ۱۹۶۹ اكتسبت (أمَّة الإسلام) شهرةً محليَّةً وعالميَّة موسَّعة، وذلك بمشاركة (مالكولم) في المناظرات والمحاورات الإذاعيَّة

ص: ۲۱۷

والتلفزيونيّة، وإلقائه الكلمات فى مدرجات المعاهد والكليّات، وقيام بعض الصُّحف والمجلّات العالميّة الشهيرة باستطلاعات متكرِّرة عن الحركة، أمثال مجلة: لايف، ولوكْ، ونيوسْويك، ورَايْدِرْ دايجِيستْ (۱). ونجحت أجهزة FBI فى تلك الفترة فى دسِّ بعض عيونها فى الحركة؛ للتجسُّس عليها وعلى حياة مالكولم الخاصَّة، فكان من تلك العيون أحد حرَس مالكولم المقرَّبين.

ومن المعارك الفكريَّة العنيفة التى خاضها (مالكولم إكس) فى تلك الفترة معارضته لدعوة الاندماج، وسياسة السَّلام التى كان يروِّج لها المسيحى الأفرو- الأمريكى مارتنْ لوثر كينغ (۱۹۲۰- ۱۹۶۴, Martin L .King)، حيث احتجَّ مالكولم أنَّ النِّظام السِّياسى والاقتصادى الأمريكىَّ مؤسَّسٌ على التَّمييز العنصرىِّ والظّلم فى أساسيَّاته وتفاصيله، وأن كلَّ اندماج فى مثل هذا الجهاز لن يزيد إلّا فى تعاسة الفقراء والمغلوبين من طبقة السُّود العاملة.

۱- Clifton E. Marsh, From Black Muslims to Muslims, p ۵۵.

ص: ۲۱۸

واعتبر مالكولم- كذلك- المسيحيَّة جهازاً من أجهزة الاستغلال فى يد الأمريكيِّ الأبيض، ونفى ملاءمتها روحيّاً للرَّجل الأسوَد. يقول: «المسيحيَّة دين الرَّجل الأبيض، فالإنجيل فى يد الرجل الأبيض وتفسيره الخاص له، قد كان السِّلاح الأيديولوجى الأفعَل لاستعباد ملايين الناس غير البيض» (۱). وعضَّد (مالكولم) موقفه ذلك بعقيدة «شيطانيَّة الأبيض»، والعداوة الحتميَّة بين الأبيض والأسوَد التى قال بها المعلم فارْد محمد. لكن (مالكولم) ألْمح إلى أنَّه لا يقصد ب- «شريَّة الأبيض» أفراد البيض بقدرِ ما يقصد بها جنسهم، «لسنا نعنى أيَّ فرد من البيض، بل إننا نعنى المجموع العامَّ لتاريخ الرجل الأبيض، وقسوتَه الجماعيَّة، وشرورهَ، وجميع تصرُّفاته الشَّيطانيَّة ضدَّ غير البيض» (۲).

وبقيام الحركات التَّحرُّرية فى حقبة الستينيات فى أفريقيا وآسيا، ودعوتها إلى الاستقلال، وخَوض بعض الشُّعوب

۱- Malcolm X ,Autobiography ,p ۲۴۱ ۲۴۲

۲- Ibid ,p ۲۶۵

ص: ۲۱۹

(الفيتنام مثلًا) حروباً ضروساً ضدَّ القوى الاستعماريَّة ... غدت دعوات (مالكولم) وحركته أكثر مصداقيَّة، وأكثر قوَّة فى إقناع الجماهير بعقيدة «شيطانيَّة البيض». ومنذ تلك الفترة، أصبحت حركة (أمَّة الإسلام)، تكتسب بُعداً دوليّاً، ومساندةً خارجيَّة من لدُن زعماء الحركات التَّحرُّرية فى أفريقيا وآسيا، وجزر المحيط الهندى الغربيَّة، وكان (مالكولم) بالطَّبع، مركزَ الضَّوء فى هذا الاعتبار.

جديرٌ بالذّكر أنَّ قائد الحركة الأعلى إليجا محمد، على الرغم من ارتياحه بتطوُّر الحركة، وتضاعُف أعداد الأتباع، لم يكن راضياً بأن يسلك (مالكولم) بالحركة بعداً انفتاحيّاً دُوليّاً، أو ينحوَ بها منحىً أيديولوجيّاً، وكان ذلك- بالذَّات- بداية الخلاف بينه وبين مريده المخلص. بل بينه وبين الجيل الشَّاب من أتباعه ممَّن كانوا يشاطرون (مالكولم) وجهتَه الانفتاحيَّة.

ومن ناحية أخرى، فإنَّ الحركة قد شهدت أزمتها الداخليَّة منذ عام (۱۹۶۱)

حين

ص: ۲۲۰

تألَّق نجم (مالكولم)، ودبَّ الحسد فى نفوس السِّلك الوزارىِّ داخل الحركة، فاشيع أنَّ مالكولم يريد أن يستأثر بالحركة، وأنَّه يؤلِّب بعض وزراء الحركة الشَّباب على مركز سلطةِ الحركة فى شيكاغو ... ويبدو أن بعض الوقائع تواطأت فى تقوية تلك الإشاعات فى نفس إليجا محمد، منها تمرُّد ابنه والاس محمد عليه عام ۱۹۶۳، ووصفُه تعاليم والدهِ بالضَّلال والخروج عن الإسلام الصَّحيح، ولما أبعِد عن الحركة، ووُصِف بالنِّفاق، لم يشجبْ (مالكولم) فعلته، ولم ينطقْ فى حقِّه بسوء.

إضافةً إلى ذلك، فإنَّ فضيحة إليجا محمد الجنسيَّة عام ۱۹۶۳ جاءت لتعصف بالكثير من هالة القداسة التى كان (مالكولم) قد أضفاها على قائده الرُّوحى، ولتُرغمه على إعادة حساباته فى قيادة الحركة، والشُّعور بتأنيب الضَّمير فى سَوق الجماهير المتحمِّسة إلى مصير غير مأمون تحت قيادة إليجا؛ فبدأ يكرِّس جهودَه فى المشكلات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة لأتباع الحركة، ويوسِّع اهتماماته بالعالَم الخارجى.

كان اتِّساع الخَرق وعكْر الصَّفو بين

ص: ۲۲۱

(مالكولم) ومعلّمه إليجا فى أواخر عام ۱۹۶۳، حين اغتِيل الرئيس الأمريكى جون كيندى، وسُئِل (مالكولم) عن رأيه فى هذا الاغتيال؛ فأبـدى مالكولم شـماتته بكينـدى مشـيراً إلى أنَّ الـدَّهر قد أنصف منه، ولقىَ جزاءه فى تواطؤ حكومته فى سلسـلة من الاغتيالات، مثل اغتيال الرئيس Patrice Lumumba والأمريكى Medgar Evers وغيرهما .. وقد كان هذا التَّصـريح الجرىء سـبباً فى تبرّى إليجـا منه، وعزْله عن وزارة الهيكل رقم ((۷ بنيويورك، ومنعه عن الحـديث باسم الحركة لمدة ((۹۰ يوماً. لكن (مالكولم) لم ينتظر انقضاء العدَّة، بل أعلن انفصالَه عن الحركة وتعاليمها العنصرية.

ومن المعلوم، أنَّ إليجا محمد كان على يقين بانتهاء فعاليَّة «النُّسـخة الإسلاميَّة» التى قدَّمها للأمريكيِّين السُّود، وعدم صلاحيَّتها لتطلُّعات الجيل الجديـد، غير أنَّ انفصال مالكولم المعلن عن حركته كان صـفعةً قويَّة، وتهديـداً مباشـراً لزوال ملكه، وأنَّ ذلك سوف يعصـف بالعرش الذى بناه لنفسه على مزاعم غير ملتئمة مع الواقع والحقيقة، فعقيدة نبوَّة إليجا،

ص: ۲۲۲

وعقیـدهٔ حرب الهرمجـدون التی یهلک الله فیها البیض، وتحلُّ مملکهٔ السُود، والدَّعوهٔ إلی إعطاء السُود ولایهً خاصَّهٔ بهم فی أمریکا ... کلُّ تلک الدَّعاوی کان الدَّهر قد عفا علیها.

وإضافهٔ إلی مـالکولم، فقـد رأی إلیجا سلسـلهٔ من الاعتراضات المتکرِّرهٔ والتَّمرد علی تعالیمه وادِّعاءاته خاصَّهٔ لـدی أقرب الناس إلیه، وأولاـده ممَّن یقفون- عن کثب- علی خبایا حیاته وتصرُّفاته .. خرج علیه ابنه والاس محمـد أکثر من مرَّهٔ، وخرج علیه حفیـده حسـن شریـف فی ۱۹۶۴، وخرج علیه ابنه أکـبر محمـد عـام ۱۹۶۵ وقـد أشـاد کـلُّ أولئک بمالکولم، ورفضوا النَّیل منه، وسـمَّی أکبر محمد إسلامَ والده ب- «صناعهٔ محلیَّهٔ» (homemade) وأنَّه لا یعکس الصُّورهٔ الأصلیهٔ للإسلام.

ص: ۲۲۳

منظمة «مسجد المسلمين المتحد Muslim Mosque Inc»

فى مـارس ۱۹۶۴ أعلن (مالكولم) انفصاله عن (امَّة الإسـلام)، وتأسـيسَه لمنظمـة خاصَّة باسم «مسـجد المسـلمين المتحـد»، وأنَّ منهجه المنهـج الإسـلامى السَّلفى، ودعـا جميع المسـلمين إلى العمل معه من أجل رفعـة الإسـلام، وأسَّس هيئـة سياسـيَّةً أخرى باسم: الوحـدة الأفرو- الأمريكيَّة.

Afro Amerecan Unity

كان الهـدف من تأسـيس تلك المنظمـة جمع الأمريكيّين السود- بصـرف النظر عن أديانهم- للعمل مجتمعين لتحقيق حقوق الإنسان. وعلى ذلك، فإنَّ (مالكولم إكس) رجع عن مواقفه المعادية للبيض؛ إذْ دعاهم إلى العمل فى مجتمعاتهم لمحاربة صُورَ الظُّلم، والعمل لتحقيق الأـخوَّة الحقَّة بينهم وبين السود، غير أنَّه لم يفتـح منظمته الفتيَّة للبِيض، معلِّلًا ذلك أنَّ تحقيق الأخوَّة بين البِيض والسُّود لا يتمُّ إلّا بتحقيق الاتِّحاد والتَّعاون بين السُّود

ص: ۲۲۴

أنفسهم (۱).

وواضحٌ من هذا الإطار أنَّ جميع المقدِّمات كانت تنبيء بأنَّ (مالكولم) يخطِّط لحركة عالميَّة ذات شأن خطير في المطالبة بالحقوق الإنسانية، فَمِن دعوته إلى الوحدة الأفريقيَّة(Pan -Africanism)انطلق إلى المطالبة بحقوق شعوب العالَم الثالث، والاهتمام ب-«الإخوة» في أمريكا اللّاتينية، و «الإخوة» الصِّينيين .. ومن تصريحاته الشَّهيرة قوله: «ينبغي على الرَّجل الأسوَد الأمريكي أن يدرك أنَّ على عاتقه مهمَّة كبرى في استدعاء الولايات المتحدة الأمريكيَّة للامتثال أمام محكمة الأمم المتَّحدة بتهمة أساسيَّة في خرق حقوق الإنسان» (۲).

ومن الخطوات الناجحة في تلك الفترة تكثيف مالك أسفاره ولقاءاته بالعلماء، والمؤسَّسات الإسلاميَّة، وبالزُّعماء والقادة في أفريقيا وآسيا، فزار غانا، ومصر، والسودان، والتقى

۱- Coiftonn E, From Black Muslims to Muslims, P ۶۰.

۲- Malcolm X ,Autobiography ,P ۳۶۱

ص: ۲۲۵

السُّفراء من مختلف البلدان.

والجدير ذكره أنَّ مالك فى ظلِّ جماعة (أمَّة الإسلام) لم يكن بمقدوره الانفتاح على الجماعات الدينيَّة والسياسيَّة الأخرى خارج الولايات المتحدة؛ إذ كان من سياسة إليجا محمد الحفاظ على جماعته داخل «شرنقة» مغلقة تمنعها من الاختلاط بالخارج وتبادل الآراء. وقد صرَّح مالك بذلك فى مقابلة منشورة له بصحيفة «صونداى غلانْدر

Sunday Glender

» الجامايكيَّة، قال: إنَّه طالما تاق إلى زيارة البلدان الكاريبية لكنَّ قائده لم يكن ليسمح له بذلك، قال: «بصفتى مسلماً أسوَد، وفى حركة المسلمين السُّود، لم يكن بمقدورى السَّفر إلى هناك [الكاريبى]؛ لأنَّ السيد محمد لم يكن يشجع أتباعه على الذِّهاب إلى أيِّ مكان شاءوا، بل كانت تشغلهم مشاغل أمريكا عما عداها».

حتى إنَّ الجولة التى قام بها إليجا إلى أفريقيا وآسيا (عام (۱۹۵۹– ۱۹۶۰ كانت بإيعاز من مالك، يقول: «لقد زرت تلك البلاد بصفتى مندوباً للسيد محمد، وبالطبع، فقد كنت واضع هذه الرحلة

ص: ۲۲۶

ومخططها. وکان السبب الأوحد فی عدم عودتی إلی تلک البلاد، أنّه ما کان لیدعنی أذهب، فلم یکن یشجّع أیّاً من أتباعه علی السَّفر إلی مکهٔ أو أفریقیا» (۱).

رابعاً: مقتله والمؤامرهٔ العالمیَّهٔ

شهدت الأشهر السابقهٔ لاغتیال الحاج مالک حرباً شعواء معلنهٔ علیه من جبهات مختلفهٔ، مثل مکتب CIA ، ومکتب. FBI واتَّهمته الحرکات القومیَّهٔ للسُّود بالانحراف عن قضیَّهٔ السُّود نحو «العرب» وغیرهم. وکانت صحیفهٔ Muhammad Speaks لجماعهٔ (أُمَّهٔ الإسلام) تنال منه، وتلصق به التهم، وتصفه بالنفاق والارتداد، ولقی کذلک أتباعه حظَّهم من المضایقات والاستفزازات، وضروب التَّخویف؛ فضُرب أحدهم ضرباً مبرحاً لقی علی إثره حتفه، واضرِمت النَّار فی منْزل مالکولم قبل مقتله بأسبوع، کاد هو أسرته یهلک حرقاً لولا أنَّ الله سلَّم. وبلغت أعمال التَّرهیب مبلغها حتی أن

۱- DeCaro ,On the Side of my People ,P ۲۶۷

ص: ۲۲۷

مالك كان على أهبة للتصريح بأسماء الأشخاص الموكّلين باغتياله.

كما أنه قد عرف فى تلك الفترة أصعب التّجارب وأمرّها فى تحوُّل الأصدقاء، وتخاذل الصِّحاب، وظلم ذوى القربى حتى أن شقيقَه «فلبير» الذى تنكَّر له، ووقف فى صفِّ إليجا محمد، ألحق به التهم ووصفَه بالهوس ومرض اضطراب النَّفس الذى أودى بأمِّهم (۱). ومن صُور المضايقات والتَّحريض والتآمر العالمى ضدَّ مالك منعه من دخول فرنسا بأيام قبل مقتله حين تقدَّم لزيارتها ولإلقاء كلمته فى مؤتمر الطُّلاب الأفارقة، وكان هذا المنع بطلب من الولايات المتحدة، والسنغال، وساحل العاج (۲). ولا أدلَّ على فداحة تنكُّر الأقارب والأصحاب له من موقف شقيقه المذكور آنفاً المعادى له، حتى حين قُتِل لم يشيِّع جنازته؛ لأنَّه- حسب وصفه- مات ميتة ضالة (۳).

۱- Goldman, The Death and Life Of Malcolm X, P ۲۳۲

۲- Ibid ,P ۳۳۱

۳- Clifton E. Marsh, From Black Muslims to Muslims, P ۶۷.

ص: ۲۲۸

وهكذا جاءه أجله المحتوم فى اجتماع

OAAU

المفتوح ظهيرة الأحد ۲۱ فبراير عام ۱۹۶۵، وكانت كلُّ الإرهاصات فى ذلك اليوم تصرخ باقتراب خطر داهم، وأنَّ بالمكان ضغائن شر تتأجَّج حقداً وناراً، وتتأبَّط شراً، وبفراسته الصادقة شعر مالك بما بيَّته القوم له، وصرَّح لأصحابه فى صالة الانتظار عن تخوُّفه وتوجُّسه .. «إنّنى لا أشعر بارتياح نحو هذا الاجتماع، أشعر أنه ليس بالأجدر أن أكون هنا. إنَّ أمراً غريباً يحدث هنا يا إخوانى!» وكان من المفارقة أن يختم المقدِّم حديثه قائلًا: «إخوانى، إننى أقدِّم إليكم رجلًا ما كان ليبخل بحياته من أجلكم». ويتقدَّم مالك إلى المنصَّة، ويلقى السلام على الحضور، ولا ـ يكاد الحضور يردُّ تحيَّته حتى يعلو فى مؤخرة الصالة هرجٌ وشجار، وحين تنصرف الأنظار إلى الضَّوضاء، يثب ثلاثة إلى المنصة وثبة أشقى قوم صالح؛ فيحاول مالك تهدئتهم .. «أيُّها الإخوة اهدأوا!» فتنطلق رصاصاتٌ إليه ... هذا، وإذا تضاربت الأقوال والتَّصريحات حول هويَّة قاتليه، فإنَّ مما لا شكَّ فيه

ص: ۲۲۹

أنه كان ضحيَّة فكره ومنهجه الجديد، وينبغي علينا التركيز على هذا الجانب حتى نقدِّره حقَّ قدره، ولا يشغلنا البحث الحثيث عن أولئك المجرمين عن تدبُّر فكره، ودعم ذلك والإبقاء عليه مشتعلًا منيراً بإذن الله. وقد ألمح مالك إلى هذا الواجب في حقِّ دعوته بقوله: «ينبغي أن تدركوا أنّ ما أقوم به جدٌّ خطير، لأنَّه تهديد مباشرٌ للنظام العنصريِّ الدُّولي بأجمعه، لأنّه تعريةٌ للتفرقة بأشكالها الدوليَّة، وعليه، فإنِّي إن أمُتْ أو أقتَل؛ فاطمئنُّوا أن ما حرَّكته لن يتوقَّف أبداً» (۱).

إذن، لم يكن يخاف على الحاج مالك مغبَّة ما يقوم به، ووعورَة الطّريق الجديد الذي سلَكه، فقد علَّمه التاريخ أنَّه ما أتى رجلٌ بمثل ما أتى به، وما قصدَ قاصدٌ مثل غايته، إلّا وتكالبت عليه أيدي المكر، وطواغيت القهر والاستعباد، إنَّ الحاج مالك- بكلِّ بساطة- لم يعُد ذلك السِّمسار في شوارع هارلم، ولم يعد ذلك

۱- Eugene V. Wolfenstein, The Victims of Democracy: Malcolm X, P ۳۲۸.

ص: ۲۳۰

المسلم الأسوَد المطبِّل ل- «نبى» مهوَّس، والذى تلتفُّ حوله أمَّة من بُسطاء النَّاس أو متعصِّبيهم ممَّن تحركهم العواطف العرقيَّة وممَّن يعيشون على أفيون الترَّهات، وينتظرون إلَاهَهُم «فارد» الهالك/ المختفى أن يأتيهم ويهلك عدوَّهم الأبيض، ويضع مملكة السُّود، ويجعل الأرض جنة لهم ... ولكنَّه أصبح ذلك المنذر الرَّشيد، المنبذ للتعصُّب، المعلِّق مصير قومه وتحريرهم بتحرير المغلوبين- جميعهم- على الأرض بصرف النَّظر عن ألوانهم وأشكالهم وأديانهم.

وإن كان مالك تنبَّأ بمصيره، فإنَّه قد كشف لنا بعض تفاصيل المكر المحاك ضدَّه، فقد أدرك بقراءته لسنن الصِّدام بين الحق والباطل، ومشاهدات التآمر أن أحزاب المكر فى الخفاء جهاز معقَّد، وجيشٌ لوبيٌّ من شخصيات، وأحزاب وحكومات مختلفة كلُّها تستفيد من القضاء عليه، ولكن الذى يعلِّق الجرس ويجهز على الفريسة، ما هو إلّا أضعف تلك الأحزاب، وربَّما أقلُّها انتفاعاً فى هذه الصَّفقة الآثمة. وبالجملة،

ص: ۲۳۱

أدرک (مالـک) أنَّه لن یقوم بالحلقـهٔ الأخیرهٔ فی هـذه المؤامرهٔ إلّا أقرب الناس إلیه- ویا للمفارقـهٔ- أولئک الـذین تحمَّل المخاطر من أجلهم، وأعلن الحرب من أجل خلاصهم من براثن الظلم والاستغلال. قال ذلک لمحدِّثه «جولیان

Julian Mayfield

» زعیم حرکـهٔ الأفرو- الأمریکیَّهٔ فی أکرا (غانا) حین سأله ذاک عن «الأیـدی الخفیَّهٔ» فأجاب أنَّه إذا ما وقع له أیُّ شـیء فلا یظنَّن أحدٌ أنَّ ذلک بالضَّرورهٔ من المسلمین السُّود وحدَهم، فهی مؤامرهٔ عالمیَّهٔ، طالما أنَّه قد «عَوْلم» القضیَّهٔ الأفرو- الأمریکیَّهٔ.

تجارب مهمَّهٔ فی حیاهٔ الحاج مالک شباز وقانون المثیر والاستجابهٔ

لعلَّ قراءهٔ نفسیَّهٔ لسـیرهٔ حیاهٔ مالک وشـخصه، وتطبیق قانون «المثیر والاسـتجابهٔ» علی المواقف الحیاتیـهٔ التی مرَّ بها مالک، یوقفنا علی رهافهٔ طبع مالک، وحدَّهٔ شعوره لتلک المواقف، وبالتالی اتِّخاذه موقفاً محدَّداً صارماً تجاه کلِّ تجربهٔ. وعلی ضوء هذا المفهوم، فإنَّنا

ص: ۲۳۲

نقف عنـد بعض تجارب مالك باعتبارها صدمات نفسـيَّة خضع لها مالك، واتَّخذ موقفاً محدَّداً منها، فأثَّر هذا الموقف فى حياته تأثيراً ملحوظاً. ولعلَّ اولى تلك الصـدمات المثيرة حرق البيض العنصريِّين منزل عائلة مـالكولم، وقتلهم لوالـده، يلى ذلـك سـخرية معلم المدرسـة منه، وفضـيحة إليجـا الجنسـيَّة، ومفاجأته فى مكـة بكَرم الضِّيافـة العربيَّة، وبروح التوادد والإخاء والمساواة بين السُّود والبيض وجميع الألوان ... ولنا وقفة عند الأخيرَتين.

أولًا: فضيحة إليجا الجنسيَّة

كانت صدمة الفساد الخلقىِّ الذى كشفت عنه صحيفة UPIوعن علاقة إليجا محمد الجنسيَّة غير الشرعيَّة باثنَتين من سكرتيراته، أعنفَ الصَّدمات التى هزَّت نفس (مـالكولم) وطبعت بصـمتها على حيـاته وتصـرُّفه ونظرته إلى «الإنسان» فيما بقى من عمره. ولثقـة مالكولم البالغة بأستاذه و «نبيِّه» إليجا محمد، فإنَّ (مالكولم) ما كان ليطمئنَّ إلى حرف من

ص: ۲۳۳

التحقيق الصحفى فى حقِّ أستاذه، غير أن طبيعته المتعطّشة إلى سبر الأمور، ومواجهة الحقائق، وقطع الشَّك باليقين ألجأته إلى مساءلة البِنتَين عن علاقاتهما بإليجا؛ فأكَّدتا له الخبر، وأنَّ كلًا منهما قد أنجبت منه طفلًا، وكانت قوَّة الصدمة عنيفةً، والفضيحة كبيرةً لأن يغضى عنها مالكولم، فهرع- عبثاً- إلى القرآن الكريم وإلى الإنجيل علَّه يجد فيهما مبرِّراً لفعلة أستاذه وقائده الروحى الشَّنعاء، فكان (مالكولم) مثل الغريق الذى يتشبَّث بأيِّ جسم متحرِّك ... وطبعاً، لم يسَعه إلَّا السفر إلى شيكاغو ومساءلة الأستاذ .. وبكلِّ ثقة اعترف الأستاذ بفعلته بل برَّرها بالاستشهاد بقصص الكتاب المقدَّس المفتراة على أنبياء الله المعصومين، قال: «إنَّنى أنا داود، فحين تقرأ عن أخذ داود حليلةَ غيره، فأنا ذاك داود، وإذا قرأتَ عن نوح الذى سكرِ فهو أنا، وإذا قرأتَ عن لوط ذاك الذى ضاجع ابنته مِن صُلبه، فقد اكتمل فى جميع تلك الصفات (!!!)» (۱).

۱- Malcolm X ,Autobography ,P ۲۹۹

ص: ۲۳۴

وبهـذا الافتراء، كان إليجا يريـد أن يوغل فى تـدجُّله وتضـليله لمريده المخلص، ويسـجِّل لنفسه مكسـباً جديداً، ويبنى حول نفسه هالةً أخرى من المناعـة والقداسـة، ولكنَّ الجرح فى قلب المريـد كان عميقاً، مستعصـياً على الانـدمال، وكانت الصدمة عنيفة لبعثه من موتة الانقياد العمياء لقائده.

ثانياً: صدمة الجهل بأساسيَّات العبادة

لعـلَّ أعنفَ صدمـة أشـعرت الحـاج مالـك بـالحيرة والخجل من نفسه منـذ أن حطَّ رحالَه فى الأراضـى المقدَّسـة إدراكُه مـدى جهله بأساسـيَّات الـدين الإسـلامى وأوَّليـاته، وفى زيـارته لهـذه الأماكن دروس وعبر يجمُل بنا قراءتها وتمثُّلها فى وقفاتها فى تلك المشاعر المقدَّسة.

ومن تلك المواقف التى وقفها واستنبط دروساً إيمانيَّة فيها المواقف الآتية:

۱- مكة المكرمة والشُّعور بالكرامة

كان نزول الحاج مالك شباز بمكة المكرَّمة، نقطة تحوُّل فى نظره إلى نفسه

ص: ۲۳۵

وتقـديره حقَّ قـدره، تقـديراً ليس منشـأهُ الصَّلت والكبر، ولكنه تقـديرٌ مظلَّل بجلالـل عظمـة الخـالق الجبَّار. وإذا جـاز أن نسـتعير مثَلهم السـاخر «كَلب الملك، سيِّد الكلاب»، فإنَّ إجراءه على العبـد المسـلم الـذى يستشـعر أنه عبـدُ ملك الملوك، يفضـى به- حتماً- إلى الشُّعور بأنه «سيِّد العباد»، وأنه واقفٌ ببقعة هى «مكرَّمة» من لدُن ذى الجلال والإكرام ... يقول مالك: «طوالَ سِنىَّ التِّسع والثَّلاثين على هذه الأرض، كانت مدينة مكة المقدَّسة أوَّل بقعة وقفت فيها أمام خالق كلِّ شىء، مستشعراً بأننى إنسان كامل».

وهكـذا رجحت تجارب ساعات معـدودة، ورجحت مشاعر بقاع قليلـة العـدد على تجارب أزمنـة وأمكنة غير محصورة، وتواطأ المكانُ والزمـان على تغيير نظرة الحـاج مالـك عن نفسه؛ لأنَّه- طوالَ تسع وثلاثين حجـج- كان ينظر إلى نفسه من خلال معادلـة (رجل أسوَد رجـل أبيض)، وكانت الغلبـة الحتميَّة دائماً للقطب الأبيض، مما جمَّع فى نفس (مالكولم) مركَّبات نقص ومعاداة لهـذا الأبيض. أما فى هذا الموقف

ص: ٢٣٦

الخالي من تلك المعادلة، فقد شعر بالكرامة، ووازن نفسَه بنفسِه ومن خلالِ عظمة الرَّب الذي خلقه.

٢- عرفات (موت النبي الأسوَد والشيطان الأبيض)

كانت عرفات والوقوف بها المسرحَ الفعليَّ الذي ساعد الحاج مالك شباز على مراجعة حقَّة لماضيه، ودفعه إلى تعديل جذريٍّ لرؤيته وإدراكه لحقيقة العالميَّة الإسلاميَّة، ومحو شائبة الألوان والأعراق. وبتماحي الألوان، فإنَّ العالم قد ظهر على حقيقته أمام مالك، وظهر الرجال مجرَّدين عن الأصباغ الملوَّنة .. يقول: «في مكَّة، استذكرتُ السنوات الإثني عشرة التي قضيتُها مع إليجا محمد، كأنها تمرُّ أمامي بحركة بطيئة، وأظنُّ أنه ليس بمقدور أيِّ إنسان إدراكُ عمق ثقتي الكاملة في شخص إليجا محمد .. ولكنَّني من عَلى أقدَس بقعة في الدُّنيا، أدركتُ مدى خطورة إيلاءِ مثل هذا الاعتبار لإنسان، خاصَّة اعتقاد تلقِّيه نوعاً من الوحي الإلهي، أو إعطاؤه

ص: ۲۳۷

نوعاً من العصمة» (۱).

يكشف لنا هـذا التصـريح عمق الرابطـة بين الحاجّ مالك وقائـدِه الأول، وعلى الرغم من انفصال (مالك) عن حركـة إليجا، فإنَّ مكانةَ هذا الرَّجل كانت عميقةَ الجذورِ فى نفسِه؛ إذ إنَّ (مالك) كان قد أسـلم نفسه إليه طوعاً، وانقاد له مثل «ميت بين يدَى غاسله»، أو كما يقول مالك نفسه: «كنت قد صدَّقته وآمنت به أكثر مما يصدِّق هو نفسَه». وما كان ليجتثَّ تلك العروق العميقة من أصولها إلّا موقفٌ إيمانىٌّ عنيف كهـذا، موقفٌ بين يـدَى ربِّ العالَمين. يقول (مالك): «أشـعر كأننى مثل رجل ظلَّ مُنوَّماً- بطريقـة مَّا- تحت تأثير إنسان آخر. أشـعر أنَّ ما أقوله الآن، وما أشعر به الآن أنه نابعٌ من نفسى، ومن قبلُ، كان فكرى وكلامى كلُّه من وحى إليجا محمد. إننى الآن أفكِّر بعقلى الخاص» (۲). وبهذه الكلمات يعلن (مالك) عن يقظة ووجود جديد لنفسه،

۱- Malcolm X ,Autobiography ,P ۲۹۹

۲- Breitman ,Malcolm X Speaks ,P ۶۸

ص: ۲۳۸

كمـا يعلن- إعلانـاً خطيراً- عن موت «الإله/ النبى الأسوَد»؛ فما دام الحاج (مالك) قـد وقف شامخاً فوق أعلى قمَّة مباركـة فى الأرض المقدَّسة، وعَرف- لأول مرَّة- نفسه كإنسان مكرَّم، فقد تضاءل أمام عينيه كلُّ مخلوق حاشا الملك الجبار، وبطُل لديه سحرُ كلِّ «مُنوِّم مغناطيسى». إنَّ جاهليات الفكر والاعتقاد، وادِّعاء العصمة والنُّبوة لإليجا، موضوعـةٌ تحت قـدَمىْ الحاج (مالك) اليقظ، الرّافض لتلقِّى الأوامر على الرِّيموت. أو منْ كانَ ميْتاً فأحيَيناهُ وجعلنَا له نوراً يمشى به فى الناس ....

ومن الطريف أنَّ هذه القاعدة فى تجرُّد الناس عن ألوانهم، قد طالت الحاج مالك نفسه، وقد وصـفت زوجته «بيتِى شباز» هذه الحقيقة بقولهـا: «مضـى إلى مكَّة وهو مسـلمٌ أسوَد، وأصـبح هنالـك مسـلماً فحسب» (۱)، فكـأنَّ مالـك انسـلخ من لونه كما تنسـلخ الحيَّة من جلدها، أو أنَّه بحمله للقلب (الحاج)، سقط عنه قناع

۱- Clifton E. Harsh, From Black Muslims to Muslims, P ۶۱.

ص: ۲۳۹

«الأسوَد» لأنَّ الحجَّ انفتاحٌ على العالَم، انفتاحٌ لايستقيم والانغلاقَ الانغلاق فی لبوس من العنصريَّة والطائفيَّة والكره للآخرين. هذا، وقد اعترف مالك بأنه كان منغلقاً فی لبوس اللَّون قبل سفره إلی الحج، حين كشف عن سرِّ عدم سفره إلی بلاد الكاريبی طوال سنوات عمله تحت قائده إليجا؛ لأنه كان «مسلماً أسوَدَ، وفی حركة المسلمين السُّود».

۳- الحج والوعی الوحدویُّ بين البشر

من نافلة القول الإشارة إلی أنَّ أهمَّ درس تعلَّمه الحاج مالك فی رحلة الحج وفی أداء شعائره هو الوعی بضرورة وحدة البشر لا وحدة المسلمين فحسب، وتعلَّم-

ص: ۲۴۰

فوق ذلك- بعض الإجراءات العمليَّة لتحقيق تلك الوحدة وخصائصها.

ومن تلك الإجراءات:

أ- إنَّ من لزوميات تحقيق الوحدة العالميَّة الإيمان بوحدة الخالق سبحانه، واعتماداً على ذلك فقد دعا مالك أمريكا إلى القَبول العاجل لعقيدة وحدانيَّة الخالق (The immediate acceptance of the oneness of God) ، وأكَّد أنَّ ذلك هو الخيار الأوْحد أمام أمريكا للخروج من مأزق العنصريَّة، والنَّجاة من الانهيار المحدق بها.

ب- إنَّ الوحدة العالميَّة تنبنى على أساس من الوحدة المحليَّة سواء أكانت وحدة إقليميَّة أو عرقيَّة أو دينيَّة. تعلَّم مالك ذلك حين لاحظ أنَّ الحجاج- على الرغم من تماحى الفوارق بينهم- يجتمعون أفواجاً أفواجاً، حيث الأفارقة مع الأفارقة، والباكستانيُّون مع الباكستانيِّين ... تجمعهم أخوَّة صادقة. كان التطبيق المباشر لهذا المفهوم حين أسَّس مالكولم جماعته الجديدة، وأكَّد فى

ص: ۲۴۱

دستورها أنَّ وحدة السُّود والبيض لابدَّ أن تنطلق- أوَّلًا- من وحدة السُّود أنفسهم (۱).

ملامح مميزة لشخصيَّة مالك وتأثيره الفكري في الشباب

أولًا: الملامح المميزة لشخصيّته ودعوته

في ختام هذا العرض عن حياة مالك شباز، يجمل بنا طرحُ سؤال ومحاولة الإجابة عليه: تُرى ما الملامح المميزة لشخصيَّة مالك شباز، وما الآثار الإيجابيَّة، والمكاسب الدعويَّة التي اضطلعت بها رحلة الحجِّ في حركة الحاج مالك؟ ولا شكَّ أنَّ الإجابة على تلك الأسئلة تستدعي الإطالة والاستقصاء، غير أننا نحاول الاختصار بسردِ أهمِّ تلك المميزات كما يلي:

۱- إنَّه تميَّز بالرُّوح الحركيَّة، والبعد عن الأيديولوجيات التي ليس وراءها عملٌ، فكلَّما تعلَّم شيئاً انطلق مباشرةً إلى تنفيذه، وإخراجه في حيز الواقع، ولعلَّه

۱- DeCaro ,On the Side of my people ,P ۲۱۶

ص: ۲۴۲

قـد تشـرَّب تلك الرُّوح منـذ نعومـة أظفاره من طبيعة الحركة الغارقيَّة التى كان والده داعيتها ورئيس تجمُّعها فى مدينة «أومَاهَا». ويعدُّ هـذا الجانب أحـد الأسـباب الأساسيَّة فى انسـلاخ مالك عن حركة أسـتاذه إليجا؛ إذ رأى أنَّ أسـتاذه يجمع الناس حول فضـفاض من الفكر، ويسـوقهم إلى هـدف غير ملمـوس، فـدعا مالـك إلى ربـط الـدِّين بالحيـاة، وتفعيله فى حيـاة النـاس: فى الاجتمـاع، والسِّياسـة، والاقتصاد، وقد صرَّح بهذه النظرة فى حديث له بمعهد

Tuskegee

بعد انفصاله عن (أمَّة الإسـلام) بقوله: «إذا كان إليجا يجلس وينتظر، فإننى لا أجلس وأنتظر الله أن يأتى (يُعرِّض بفارد محمد المنتظر). إنَّنى أؤمن بالدِّين، ولكن أؤمن بدين يشـمل الحركة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، تلك الجوانب التى من شأنها بناء جنَّة هنا على الأرض ريثما ننتظر الجنة الأخرويَّة» (۱).

۲- إنَّ مالك قد مثَّل بحياته الأمل للضائعين فى الهداية والصَّلاح، وأن الصعود

۱- Ibid ,P ۲۶۹

ص: ۲۴۳

من الحضیض الخُلقیّ، إلی قمهٔ المثُل العلیا ممکن ولیس من المستحیلات. بل إنَّ (مالک) یؤکِّد بأنَّ التغییر یکون أظهر، وأکبر وقعاً فی الإنسان الذی کان فی الدَّرک الأسفل من التردّی والانحطاط .. «لا یمکن أن یحدث تحوُّل کلیٌّ لأحد أکثر من الذی کان أکثر فساداً. إننی أسمِّی نفسی أفضلَ مثال لذلک.» ولا شک أن معادلهٔ «التَّطهیر» قد بلغت أعلی مؤشراتها وأصفاها بعد حجِّه، کما أشار إلی ذلک فی أکثر من مناسبهٔ. فالحجُّ یجبُّ ما قبله.

۳- إنَّه کان أنموذج التَّقارب بین المسلمین والمسیحیِّین السود فی أمریکا، خاصَّهٔ فی المرحلهٔ الأخیرهٔ من حیاته، وذلک بنضاله ضدَّ العنصریَّهٔ، واستعلاء الرجل الأبیض، ومن أجل ذلک أمکن لکثیر من الجماعات المختلفهٔ ادِّعاء أحقِّیتها (بمالک)، وربطت علاقات نَسَبها الفکریَّهٔ والأیدیولوجیَّهٔ بأفکاره.

۴- إنَّه تمیَّز بروح النَّقد الذاتی،

ص: ۲۴۴

والاعتراف بالخطأ، ومحاولهٔ تصحیحه عاجلًا، حتی أنَّ بعض المتحاملین علیه وصفوه بتغییر مبادئه ومواقفه طبقاً للظروف، ورغبهً فی اکتساب المؤیِّدین (۱) .. ولا شکَّ أنه تحامُل مغرضٌ خاصَّهٔ إیرادُه فی سیاق رجوع الحاج مالک عن نظرته العنصریَّهٔ ضدَّ البیض بعد رجوعه من الحج.

۵- ومن المکاسب الدعویَّهٔ فی أثر رحلهٔ الحج فی فکر الحاج مالک وفی حرکته، تقویته لجناح الحرکات الإسلامیَّهٔ السُّنیَّهٔ فی أمریکا، والتی کانت جماعهٔ (أمَّهٔ الإسلام) المنحرفهٔ قد طغت علی وجودها، وحجبت صورتها عن البروز علی السطح الإسلامیّ فی الوسط الأمریکی، مثل جماعهٔ دار الإسلام، وجماعهٔ الأخوهٔ الإسلامیَّهٔ

.Islamic Brotherhood Inc

، وجماعهٔ Party Islamicوکان ذلک سبباً لتأسیس بعض الحرکات الإسلامیَّهٔ صحیحهٔ المنهج (۲).

۱- Houston A. Baker Jr, The Black Public Sphere, P ۴۴.

۲- جماعهٔ دار الإسلام أسسها مجموعهٔ من الشباب المسلمین فی بروکلین عام ۱۹۶۲، وکان أول إمام لها هو یحیی عبدالکریم.

- مسجد الأخوهٔ الإسلامیَّهٔMIB أسسه الشیخ خالد أحمد توفیق فی هارلم عام۱۹۶۷ ، وهو ممن أسلم علی یدی مالک شباز، ودرس بالأزهر الشریف، والتزم بالمنهج الإسلامی الصحیح. توفی۱۹۸۸ .

-Islamic Party : أسست عام۱۹۶۷ علی ید مظفر الدین حامد بواشنطن العاصمهٔ، أسلم علی یدی الحاج مالک شباز بعد انفصاله عن أمهٔ الإسلام. وسافر إلی البلاد العربیهٔ والإسلامیهٔ. تأثر بدعوهٔ الشهید حسن البنا، والشیخ المودودی.

ص: ۲۴۵

۶- حمله صورةً أنموذجيَّة طيِّبة للإسلام فى الوسط الأمريكى خاصَّة، والعالمى عامَّة، وذلك بدعوته إلى السَّلام العالمى بين الأديان، والأجناس، وتصحيحه لصورة الإسلام المشوَّهة لدى الغرب فى الإعلام، وفى ممارسة بعض الحركات الإسلاميَّة المنحرفة، وقد كان الحاج مالك- مِن قَبلُ- أحدَ الممثِّلين الكبار فى هذه الحملة التشويهيَّة للإسلام فى المخيلة الأمريكيَّة بفعل تعاليم قائده إليجا المغلوطة، غير أنه وُفِّق فى إتباع السيِّئة الحسنة إن شاء الله.

۷- إنَّه أعاد الأمل والثِّقة إلى المسلمين المهاجرين من الدُّول العربيَّة والدُّول الإسلاميَّة فى الشرق الأوسط وآسيا، وطلبة الجامعات المسلمين؛ فالتفَّ حوله بعضهم قبل مقتله، كما أسَّسوا منظمات إسلاميَّة بعد مماته لدعوة الأمريكيِّين، وتصحيح العطب الذى أحدثته جماعاتٌ منحرفة باسم الإسلام.

ص: ۲۴۶

۸- كونُه «جرس التَّنبيه» الـذى أيقظ فى صفِّ جماعة «أمَّة الإسلام الوعى لمراجعة فلسفتها وعقيدتها الإسلاميَّة. ولعل ذلك ما سهَّل لخَلِف إليجا محمد ابنِه وارث الدِّين محمد حملته التصحيحيَّة لعقيدة الجماعة وممارساتها.

ثانياً: تأثير الحاج مالك شباز الأيديولوجى

إنَّ أول مظهر من مظاهر تأثير الحاج مالك- محلياً وعالمياً- يمكن أن يُلمَس فى الصبغة الحركيَّة الواضحة فى حياته، حيث لم يترك مدوَّنات فكريَّة، وإنما كان كلُّ حياته تطبيقاً عملياً حياً لفكرته. وعلى الرَّغم من انفصاله عن جماعة (أمة الإسلام) قبل وفاته، وتأسيسه لتنظيم خاص، فإنَّ تأثير مالك على الأفراد والجماعات الدينيَّة والسياسيَّة ظلَّ واضح المعالم فى تفكير أولئك الأفراد وسياسات الجماعات.

وإذا كان (مالك) قد لقى إعراضاً من بعض الجماعات القوميَّة بين السود، بسبب دعوته الإسلاميَّة، أو بدعوته إلى التعايش

ص: ۲۴۷

السِّلمی بین السُّود والبیض، أو الجماعات الإسلامیَّهٔ لسبب أو لآخر .. فإن مقتله کان سبباً لتعید تلک الجماعات نظرتها فی دعوهٔ مالک، وتقیِّم أیدیولوجیَّته فی ضوء الأسباب الغامضهٔ فی اغتیاله، وفی هویَّهٔ قاتلیه. وقد أدَّی ذلک بأولئک إلی تردید شعارات مالک فی المناداهٔ بالتحریر الأفریقیِّ، والشُّعور بالکرامهٔ، والاعتزاز بالذَّات. ومن الحرکات الجدیرهٔ بالذّکر فی هذا الصَّدد، منظمهٔ الکونجرس للمساواهٔ العرقیَّهٔ (

CORE)

، واللجنهٔ التَّنسیقیَّهٔ السلمیهٔ للطلبهٔ (SNCC)، فقد تبنت هاتان الجماعتان دعوهٔ مالک إلی الاعتزاز العرقی، وبناء السُّود لمؤسَّساتهم الخاصَّهٔ، وتشکیلهم قوَّهٔ دفاعیَّهٔ لأنفسهم.

ومن العوامل المباشرهٔ فی تأثیر أفکار مالک فی الجیل اللاحق نشر سیرهٔ حیاته عام ((۱۹۶۹ التی کتبها مع الکاتب المشهور ألیکس هالی، صاحب روایهٔ «الجذور»؛ فأصبح هذا الکتاب من أکثر الکتب رواجاً، کما أصبح «دستوراً» فکریاً لحزب «النَّمر الأسوَد Black Panther » المؤسَّس عام

ص: ۲۴۸

۱۹۶۶

، لتأكيد إمكانيّة تحويل المجرمين السابقين إلى مصلحين اجتماعيّين، وثوريّين مثاليّين. ونُشِرت كذلك خُطبُه ومحادثاته الإذاعيّة والتلفزيونيّة التى غدت مجال دراسات كثيرة، والتى وجّهت المسار الفكرى الحركىّ لمعظم التجمُّعات الشبابيّة. وبحلول حقبة الثمانينيات، وضمور معظم الحركات القوميّة بين الأمريكيين السُّود، وتخفيف حدّة المطالبة بحقوق السُّود، والدعوات الاستقلاليّة التى نجحت هنا وهناك فى أفريقيا وفى غيرها، فإنَّ «شبح» مالك ما زال مستعصياً على المحو والنسيان. بزغ من جديد فى الفِرق الغنائيّة لموسيقى الرَّوب، وفى أروقة الجامعات والمعاهد، خاصّة حين يطرأ بعض المشاحنات بين السُّود والشُّرطة البيض؛ وتطفو المشكلة العرقيّة والعنصريّة، فيهرع الشّباب إلى شعارات مالك وأقواله المأثورة، بوصفها أسلحةً فكريّة يغرون بها السلطات الحكوميّة، ويهاجمون بها معارضيهم، مما يدلُّ على أنَّ أفكار مالك ومُثُل حياته القصيرة، ما زالت جزءاً

ص: ۲۴۹

أساسياً فى النّسيج الأيديولوجى للشباب، وما زال سلاحاً ماضياً يلوِّحون به فى وجه الخصوم؛ لتأكيد الذّات، وكسب المعارك.

وقد بلغ الحماس (الشكلى غير الواعى) لمالك شباز ذروته فى أواخر الثمانينيات والتِّسعينيات حين أصدر الهوليود فيلماً سينمائياً عن حياته ((۱۹۹۲ بإخراج Spike Lee، فأفرز ذلك جيلًا من الشباب المتحمِّسة لمالك، أطلق عليه بعضهم مسمَّى «الهوس المالكومى Malcolmania » أو جيل «X» الذى يتكالب على كلِّ بضاعة تحمل رمز «X» أو اسم مالكولم أو صورته، من قبَّعات، وقمصان، ونظارات شمسيَّة، وساعات، ويحرص على المظاهر الشكليَّة المميزة لمالك، مثل طريقة تصفيفه لشعره، وعادته فى الجلوس أو الوقوف لإلقاء الخطب ... تُرى أيكون ذلك صرفاً للشَّباب عن فكر مالك كما كان وضعُ صورته على طوابع بريديَّة عام ۱۹۹۷ م، فى رأى بعض المسلمين، صرفاً للمطالبين بالكشف عن تقارير مكتب التحقيقات الفيدرالى (FBI)، عن مالك

ص: ۲۵۰

وملابسات اغتیاله (۱)؟

ملاحظهٔ ختامیَّهٔ

بقی أن نولی أمراً بـالغ الأـهمیَّهٔ ألاـ وهو حسن الوفـادهٔ والرِّفـادهٔ التی عُرِف بها أهل مکـهٔ، وشـعب الحرَمین الشَّریفین، وأثرها البالغ فی تفهُّم (مالک) لمفهوم الأخوَّهٔ الإسـلامیَّهٔ، فلولا حسن الضِّیافـهٔ والحفاوهٔ البالغـهٔ التی شُـدِهَ بها الحاج مالک شـباز منـذ أن وطئت قـدماه الأراضـی المقدَّسـهٔ لمـا التفت مالک إلی ما تلاها من المظاهر الأخری، کلُّ ذلک قـد کان الزِّناد الـذی أشـعل فی نفس مالک التَّیقُّظ لتقدیر جمیع مظاهر الأخوَّهٔ الإسلامیَّهٔ، والمساواهٔ بین المؤمنین بصرف النظر عن ألوانهم وألسنتهم. وقد أکَّد مالک فی سیرهٔ حیاته علی تلک الجوانب، واعترف بالجمیل.

رسالهٔ من مکّهٔ

نظراً لأهمیَّهٔ الرِّسالهٔ التی بعث بها الحاج

۱- ینظر مناقشهٔ جادهٔ لهذه القضیهٔ فی کتاب: Clayborne Carson ,Malcolm X :The FBI .files

ص: ۲۵۱

مالك شباز من مكة إلى أصحابه فى الولايات المتحدة، فقد أحببنا ترجمتها كاملةً؛ حتى تنطق بنفسها عن نفسها، وتجلى الأثر الإيمانىَّ والرُّؤية الإنسانيَّة التى أحدثته تلك الرِّحلة، والتَّجارب المعدودة فى حياة مالك.

إن أوَّل ما يستلفتنا فى هذا الخطاب عنوانه حيث اختفى اسم الكاتب من العنوان، فلم يقل مثلًا: رسالة من الحاج مالك فى مكة .. ولعلَّ توارى الكاتب فى العنوان إيماءةٌ لطيفة- ولو بأسلوب غير شعورىٍّ- أنَّ ما يكتبه أكبر من أن ينسبه إلى نفسه، وإنَّما هو من وحى مكَّة، وأنَّ حقائق الحياة هى التى أملت على الكاتب هذا الخطاب.

يقول:

«إنَّنى لم أشهد- فى أرض- مثل هذه الضِّيافة الصادقة، والاحتفاء البالغ الممزوج بالأخوَّة الحقَّة مثلما هو مطبَّق بين الناس من جميع الألوان والأجناس فى هذه الأرض المقدّسة بلدِ إبراهيم، ومحمد وجميع الرُّسل (عليهم السلام). لقد غدوت منذ الأسبوع الماضى، أخرَس أمام صُور الكرامة

ص: ۲۵۲

المحاطة بی من قِبَل أناس من کلّ لون.

لقد أکرمنی الله بزیارة بلدة مکّة المقدسة؛ فطفتُ الأشواط السَّبعة حول الکعبة بقیادة الشاب المطوف محمد، وشرِبتُ من ماء زمزم، وسعیتُ سبع مرات بین الصَّفا والمروة، وصلیت فی بلدة منی القدیمة، ودعوتُ الله علی جبل عرفات.

کان هناک عشرات الآلاف من الحجاج من کلّ أرجاء العالَم، کانوا من جمیع الألوان: من ذوی العیون الزَّرقاء إلی ذوی البشرة السَّوداء الأفارقة، لکنَّهم کانوا یؤدُّون شعیرةً واحدةً مظهرین روح الوحدة والأخوة التی لم أعهدها فی أمریکا. وقد کانت خبرتی فی أمریکا قد قادتنی- خطأً- إلی الاعتقاد أنَّ مثل هذه الرُّوح الأخویّة مستحیلة التحقُّق بین الأبیض وغیر الأبیض.

وعلیه، فإنَّ أمریکا بحاجة إلی فهم الإسلام؛ لأنَّه الدین الوحید الذی یمحو من المجتمع الأمریکی المشکلة القومیَّة، فمن خلال أسفاری فی العالَم الإسلامی، جالستُ وحادَثت، بل آکلتُ أناساً لو کانوا فی أمریکا لعُدُّوا من البیض، لکنَّ تصرُّف

ص: ۲۵۳

«الأبیض» قد انتُزِع من قلوبهم بفعل الإسـلام. إنَّنی لم أشهدْ مثل هذه من قبل الأخوَّة الصادقة والحقَّة حاضرةً یطبِّقها الجمیع دون اعتبار للَون.

ولعلَّکم تُصدَمون بتلک الکلمات منِّی، لکن الـذی شاهـدتُ فی هـذه الحِجَّة قـد أرغمنی علی إعادة ترتیب قواعـد تفکیری السَّابقـة، وعلی نبـذ بعض اسـتنتاجاتی القدیمـة، وبـالطَّبع، فإن ذلک لم یکن صـعباً علی. وعلاوةً علی عزیمتی الصّادقـة، فإنَّنی ظلِلتُ دوماً رجلًا یواجه الحقائق، ویقبل الواقع الحیاتیَّ بوصفه خبرةً ومعرفة جدیدة.

خلال الأیام الأحدَ عشر السَّابقة فی العالَم الإسلامی شاطرتُ إخوانی المسلمین الأکل من آنیة واحدة، والشُّرب من کوب واحد، والنَّوم معهم علی فَرش واحـد، ممَّن هم من ذوی العیون الأشـدَّ زرقاً، والشُّعور الأشد شـقراً، والبشـرة الأنصع بیاضاً. ومن خلال کلام «البیض» وتصرُّفاتهم، شعرتُ بالإخلاص نفسِه الذی شعرتُ به بین المسلمین الأفارقة فی نیجیریا والسُّودان وغانا.

حقاً، لقد کنا إخوةً؛ لأنَّ إیمانهم بإله

ص: ۲۵۴

واحد قد نزع من قلوبهم «الأبيض»، ونزع «الأبيض» من تصرُّفاتهم، كما نزع «الأبيض» من أفكارهم. وقد تبيَّن لى من ذلك أنَّ الأمريكيّين البيض إذا كان بإمكانهم قبول وحدانيّة الله، فمن الأجدر- بطبيعة الحال- قبول وحدة الجنس البشريّ، وترك تقييم الناس، على أساس «الاختلاف» فى اللَّون. وبتضاعُف العنصريَّة التى تنخر فى أمريكا مثل سرطان مستعص على العلاج، فقد آن الأوان لأمريكا أن تنجو بنفسها من هذا الدَّمار المحقَّق، ذلك الدَّمار الذى حلَّ بالألمان بفعل العنصريَّة.

إنَّ كلَّ ساعة أقضيها هنا فى الأرض المقدَّسة تخوِّلنى روحيَّة واسعة للنَّظر فيما يحدث فى أمريكا بين السُّود والبيض. فالزِّنجى الأمريكى غير ملوم فى حقده العرقىّ؛ لأنَّ تصرُّفه ردَّة فعل لأربعمائة عام من عنصريَّة الأمريكيّين البيض. وبما أن العنصريَّة تجرُّ أمريكا إلى طريق الانتحار، فإنَّنى أؤمِن- اعتماداً على تجاربى الخاصَّة مع الأمريكيّين- أنَّ الجيل الجديد من البيض، فى المعاهد والجامعات، سوف يرى الكتابات الجدرانيَّة، وسوف

ص: ۲۵۵

ینصرف کثیرٌ من تلک الکتابات إلی الحلِّ الرُّوحی الحق، الطریق الأوْحد الأخیر لأمریکا لتفادی الدَّمار الذی تحول إلیه العنصریَّهٔ لا محالهٔ.

إنَّنی لم أحظَ قط بحفاوهٔ مثل هذه، ولم أشعر بمثل هذا التّواضع، فمَن الذی کان یتنبَّأ بمثل هذا الإکرام فی حقِّ زنجیٍّ أمریکی؟ ومنذ لیال معدودهٔ فحسب، کان فی خدمتی هذا الرَّجل الذی یمکن تسمیته ب- (أبیض) فی أمریکا، وهو دبلوماسیٌّ فی الأمم المتحدهٔ، سفیر، ندیم الملوک .. وجعل تحت تصرُّفی جناحه فی القصر .. حقاً، إنَّنی لم أحلم قطُّ بأن أحظی بمثل هذا الإکرام، إکرامٌ یُخصُّ به الملوک فی أمریکا فحسب، لا رجل زنجیٌّ.

حمداً وشکراً لله ربّ العالمین».

الحاج مالک الشباز (مالکولم إکس)

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنةَ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.